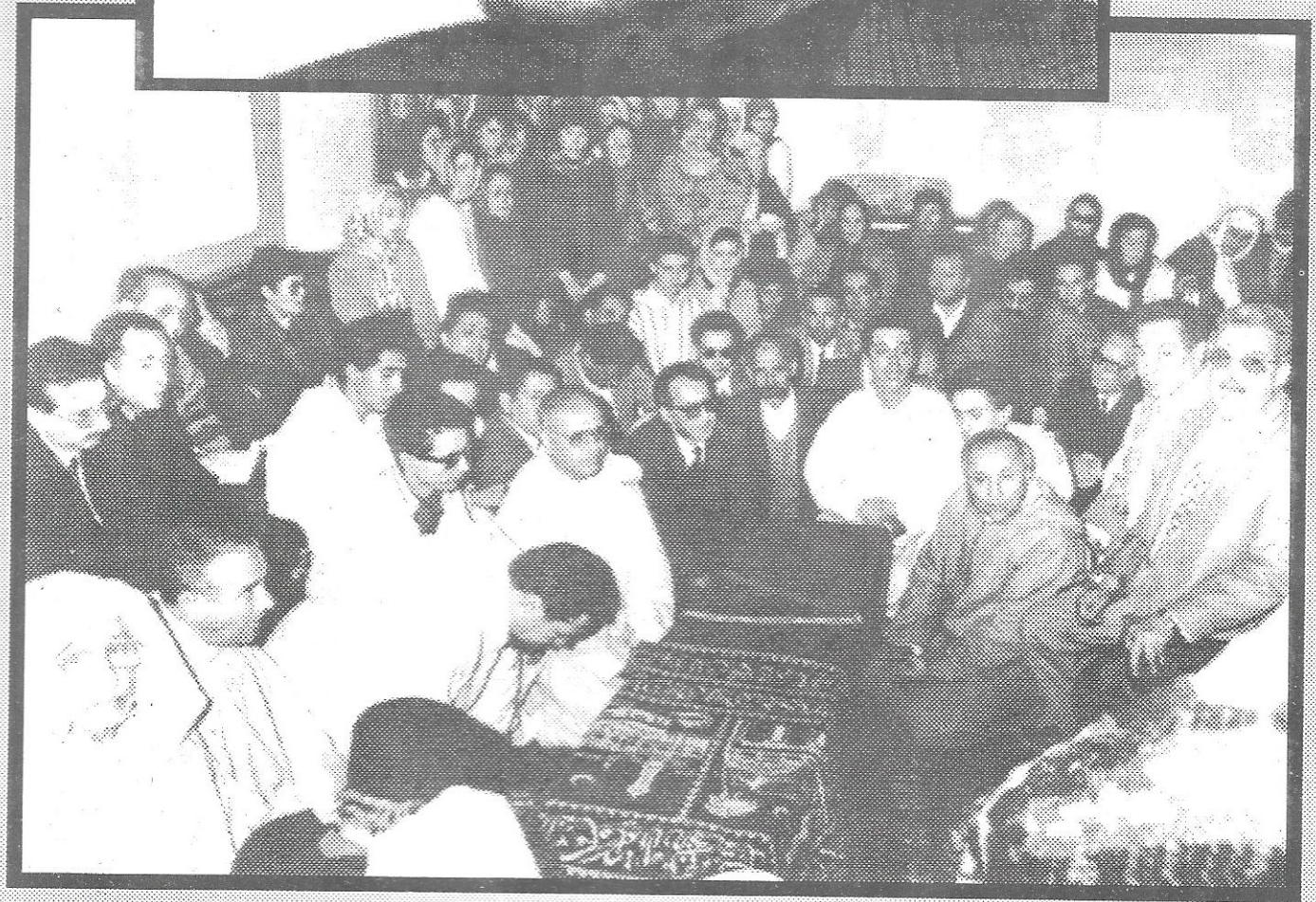
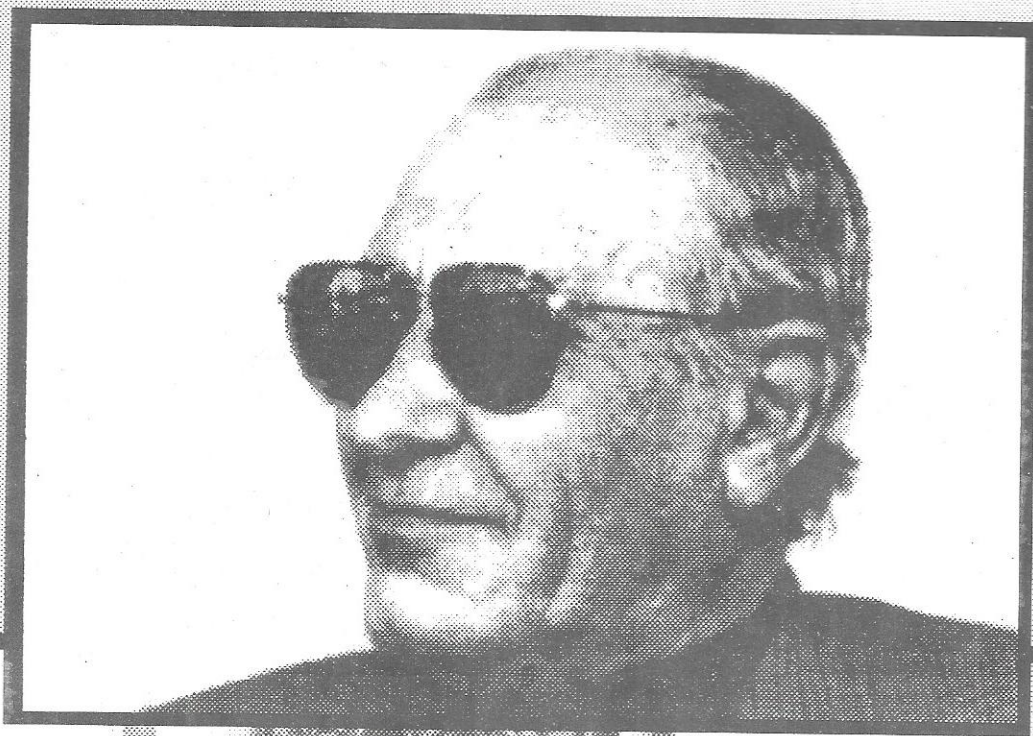


على الأقل



- قضية مثيرة : أموال المهاجرين
- حقوق الإنسان، وحوار مع أواميل
- الجزائر : الديمقراطية والتغيير
- ف. المرنيسي : الخوف ■ العصرية



عبد الرحيم بوعبيد

شخصية الموقف والتجربة

مضى الآن وقتٌ كافٍ يسمح بتقدير جسامته الخطاب الذي مُنيت به الحركة الديمقراطية بوفاة أحد أبرز العاملين في مسارها التاريخي العام المرحوم عبد الرحيم بوعبيد . ويستطيع كل مدرك لأثره وموقعه وحصيلة نضاله أن يفهم أن غيابه سوف يؤثر في تجربة العمل الديمقراطي ، لأنه أخلص له ، بتواصل واقتدار ، طوال ثلاثة عقود من الزمن مرتبطا بواقع النضال التقدمي وفاعلا في وقائعه وقائدا لبعض أطواره الأساسية . ولغياب هذا الرجل ، فضلا عن ذلك ، أوجه متعددة : فقد ساهم في قيادة العمل الوطني ووقف على الاستقلال الذي تحصل به . وانخرط ، من موقع التأثير ، في عملية النهوض بالمجتمع ، وبلور ، صحنبة جيل من القادة الوطنيين ، مطامحه المأمولة ، ثم كان له ، في خضم العمل السياسي المباشر ، الأثر الواضح في صياغة الأمانى الديمقراطية . ولهذا وذاك تقلد صفة المناضل الوطني التقدمي وبرز به في مختلف فترات الصراع . . . إلى أن غادرنا جميعا في يوم مشهود احتشدت فيه عناصر الوفاء والنضال والاستمرار .

على الأقل

على الأقل

مجلة للمتابعة والتحقيق

المدير المسؤول

محمد معروف

رئيس التحرير

عبد القادر الشاوي

■ عنوان المراسلة ■

ص.ب: 198 سلا - المدينة - سلا

■ ملف الصحافة ■

17/90

■ الإيداع القانوني ■

1990/88

■ الترخيم الدولي ■

ISS 0851/5338

■ التصميم ■

علاء الدين محسن

ت: 78292

■ عنوان الغلاف ■

جاريد

■ السحب ■

مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء

■ التوزيع ■

شوسبريس

المقالات المنشورة تعبر عن رأي
أصحابها

يصدر هذا العدد، مرة أخرى، بعد تأخير اضطراري، ولا يسعنا الا أن نصارح قارئ هذه المطبوعة أننا نأخذ من وقت انتظاره لنا ما لا نستطيع تبرير عدم وفائنا له إلا بالجدية والتنوع والانفتاح الذي نعرضه عليه في كل عدد يقع بين يديه.

والفكرة الشائعة في صفوف العاملين في الميدان الإعلامي أن الانتظام سر النجاح المهني. ولكننا اكتشفنا، مع مرور الوقت، أن الاستمرار هو أهم ما يمكن أن نراهن عليه كلما كان هذا الاستمرار ضروريا، من وجهة نظرنا، لتقديم مادة إيجابية أخذ قارئ (على الأقل) ينتظرها منا في كل عدد نظهر به عليه.

ومن الحق أن نقول إننا نبرر أعذارنا، ولكن الذي يشفع لنا أن العذر ها هنا صادق وأن التبرير موضوعي فليتفهم القارئ صعوبة وجودنا في هذه الدائرة الجهنمية.

أما هذا العدد فهو متميز أيضا. لقد أحببنا أن نضع القارئ، بصورة من الصور، في دائرة ما نعمل من أجله، أي أن نصير (على الأقل) مجلة للمتابعة والتحقيق فعلا. ويظهر هذا الآن من فهرس المواد المنشورة في هذا العدد، من خلال البعد الذي يحرك عملنا، أي أن نصير صوتا نقدياً يشير، مع مراعاة الإيجابيات الممكنة، إلى مواطن الضعف والقصور، على أمل أن نحرك من حولنا نقاشا بناءً يرمي إلى التغيير الديمقراطي المنشودة على مختلف مستويات حياتنا ووجودنا. ومن البديهي أننا في هذا جزء من حركة عريضة نامية ومتبلورة.

رئيس التحرير

بِسْمِ هَذَا الْعَلَمِ

الطابعة الوطنية

إفلاس نورافیس

۱۳۳۳

افق العمل الحقوقي

حوار مع علي أومليل

الحكمة العبرة

الجزائر: الديمقراطية

والتغيير الصعب

العامية الشامية

أدونيس: شهادة

الحقيق

الكتابة مع نجوم الليل

فاد

المرأة المغربية والسؤال

السياسي

کتاب

المرئيسى: الخوف -

العصرنة

کار پکاتیر

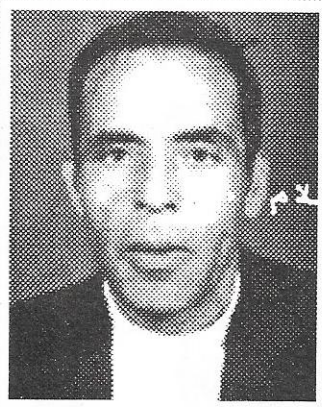


قضية مثيرة

إفلاس نورافيس

أموال العمال المهاجرين في خطر

من البعث العلمي



لاشك أن الجميع يتذكر طواف السيد الوزير الأول عبر الجهات الإقتصادية بالبلاد مصحوبا بأعضاء من حكومته لتفسير أبعاد الرسالة الملكية الخاصة بتشجيع المستثمرين ومحاربة البيروقراطية والتماطل في معالجة الملفات... ولاشك أن الجميع يتذكر أيضا ما قيل عن التسهيلات والمساطر التبسيطية المتخذة والإجراءات التي يجب أن تتخذ لفائدة عمالنا المهاجرين لتحفيزهم - كلما رغبوا في توظيف مدخراتهم - على المساهمة في التنمية الإقتصادية للبلاد.

يتذكر الجميع هاتين القضيتين وكيف (لعل في ميزان الأداءات ولوجه العملة الصعبة) استحوذتا على الخطاب الرسمي في السنوات الأخيرة واستقطبتا اهتمام المسؤولين لدرجة تمخضت فيها الحكومة فولدت وزارتين جديدتين، الأولى «تسهر» على تنظيم وترشيد وتقويم و.. الإستثمارات.. الخ.

لكن كيف - بعيدا عن لغط الإعلام - تتم العناية فعلاً بشؤون عمالنا المهاجرين؟

تحقيق: أحمد ويحمان



ما هي الإجراءات التبسيطية التي يتم اتخاذها فعلا لتحفيزهم على استثمار مدخراتهم للمساهمة في بناء اقتصادنا الوطني؟ إلى أي حد انضبط المسؤولون لضمون الرسالة الملكية، وهل تم القضاء -فعلا- أو على الأقل التخفيف من البيروقراطية وأضرارها على اقتصادنا الوطني؟

ذلك ما سيجيب لنا عليه بكثير من الوضوح استعراضنا الخاطف لقضية شركة «نورافيس NORAVIS»، وهي قضية سنتوقف من خلالها كذلك على عدة أمور هي من قضايا الساعة على الساحة الوطنية وأساسا مدى مصداقية المؤسسات (سنرى مثلا كيف أن تعليمات الوزير الأول لا تساوي شيئا أمام قرار من عامل إقليم، وكيف لا تساوي قرارات وزير المالية ووزير الشؤون الاقتصادية أي شيء أمام تعنت مسؤول متنفذ بمؤسسة بنكية. سنرى كيف يقدم بعض المستقرين بركائز «مافياوية». بعد يأسهم من ابتلاع الشركة لحسابهم - على تنفيذ حكم قضائي عامين ونصف قبل صدوره! سنرى بعض الأمور المحاطة بالقضية وسنحتفظ بمعظمها لدقته وخطورته إلى أن يحين حينها...)

- ولكن ما الحكاية بالضبط؟

قبل مقاربة الجواب لا بد أولا من إلقاء ومضة تعريفية على المشروع وصاحبه.

رجل ومشروع

"نورافيس" مشروع استثماري لصناعة تجهيزات تربية الدواجن والآلات الفلاحية. وهي شركة مجهولة الاسم تأسست يوم 12 يوليوز 1980 برأسمال مدفوع تماما وقدره مليون و250.000 درهم. يطمح المشروع إلى إنتاج وتصنيع أكثر من ثلث ما يتم استيراده بالعملة الصعبة (يتوقع تغطية 10 مليون درهم من أصل 25 مليون درهم سنويا هي تكلفة استيراد التجهيزات موضوع الاستثمار).. كما يطمح إلى تصدير ما قيمته 5 إلى 7 مليون درهم قابلة للتحويل ما بين آليات ويد عاملة.. المشروع أيضا قدر خلق 104 منصب شغل بين أطر ومستخدمين وعمال.

ذلك باختصار شديد هو المشروع أما صاحبه، رئيس مجلس إدارة الشركة فهو السيد الطيب الناصري، من مواليد 1950 من أسرة فقيرة بضواحي مدينة ميدلت. تابع دراسته ب ثانوية الخوارزمي بالبيضاء حيث أطلع على المبادئ الأولية للصناعة الحديدية.. وأمام وضعية عائلته الاجتماعية وانسداد أبواب الشغل وصعوبة مواصلة الدراسة، اضطر للهجرة إلى فرنسا عام 1970، وهناك استطاع -مستفيدا مما تعلمه بالثانوية عن الصناعة الحديدية- أن يشتغل بالعديد من المعامل بمختلف مدن فرنسا.

ومنذ 1973 غرف كيف يوضب أموره ليزاوج بين الشغل والكسب والتحصيل المعرفي فاختلف من 73 إلى 77 إلى واحد من أهم المعاهد بفرنسا CNAM (الكونسرفاطوار الوطني للمحرف والمهن) حيث درس الهندسة الميكانيكية. كما درس أعوام 75-76-77 الرياضيات والفيزياء بباريس 7 وباريس 8 درس الإدارة الاقتصادية والاجتماعية إلى غاية 1981.

خدعه فقالوا تعال...

في أول سنة 1980 اتصل بالسيد الناصري مندوبه كتب التنمية الصناعية بباريس (ODI)، وبعد نقاش طويل -أطلعته صلاته على عدة أوراق ووثائق وقرارات وقوانين...- عاتب عليه أن يتوفر على كل تلك المؤهلات من المهارات في الميكانيكا والإدارة وعلى ما يكفي من الإمكانيات المادية ويبقى في بلاد الغربية يخدم «بلادات الناس» في حين تشكو بلادنا من التخلف والضعف الناتج -في جانب كبير منه- عن هجرة الكفاءات منها وتمنع رؤوس الأموال عليها... وكان مجرد هذا الهمز كاف لاستفزاز وإثارة غيرته الوطنية. «ومنذ ذلك الوقت -يقول السيد الناصري- حملت المسألة محمل الجد وأخذت أفكر في الرجوع إليه ما يمكن أن أساهم به لخدمة وطني... ولم تمض إلا أسابيع قليلة على لقاء ممثل م.ت.ص حتى تلقى استدعاء ليحضر -ضمن المدعوين من رجال الأعمال المغاربة والأجانب- ندوة بالرباط من تنظيم مكتب التنمية الصناعية (ODI) ومكتب الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (ONUDI) حول «إنعاش الاستثمارات بالمغرب»... طار إلى الرباط وحضر ندوة هيلتون التي ترأس أشغالها الوزير الأول آنئذ وحضرها إلى جانب عدد من أعضاء حكومته. وهناك استمع إلى شروحات إضافية حول قوانين الاستثمار عندنا وحول التسهيلات. واستمع إلى وعود كثيرة بالمساعدات وتبسيط المساطر الإدارية (البسيطة أصلا!) أكثر وأكثر. وقيل له / هم ضمن ما قيل أن دراسة ملفات الاستثمارات عندنا تتم بسرعة فائقة لا يمكن أن تتعدى شهرا على الأكثر لأن البنك الوطني للإنماء الاقتصادي BNDE يطبق ال «PSA» المشهورة والمطلوبة من طرف البنك العالمي (أي المسطرة المبسطة والمسرعة)...

«... كان يحساب لي بالصح -يعلق السيد الناصري وهو يسترجع اليوم وقائع تلك الندوة ويضيف- كنت «فاكونس» كما يحلو لهم أن يسمونا أي «بليد» كنت أثق في الأوراق... المهم أن ندوة هيلتون فعلت فيه فعلتها..

وعلى ضوء الوثائق التي مكنه منها م.ت.ص بخصوص المشاريع الممكن إقامتها بالمغرب، تبين له أن هناك مواد كثيرة وبسيطة تستورد هابلادنا وتكلفها رغب بساطتها -كثيرا وبالعملة الصعبة. فارتأى أنه من العار ترك كل ذلك الثقل على

2- في أنفاق الإدارات

يسترسل السيد الناصري «... استجبنا للـ ب. و. إ. بنقل الشركة وجئنا إلى القنيطرة. تقدمنا بطلب بقعة أرضية تأوي مشروعاتنا إلى عمالة الإقليم. وافق السيد عامل الإقليم على إعطائنا بقعة في منطقة «بير الرامي» إلا أن مصالح وزارة السكنى اعترضتنا في تلك الأثناء كان طلب القرض لدى الـ ب. و. إ. قد تم قبوله وبدأت «تكاليف الإلتزام» سارية المفعول.

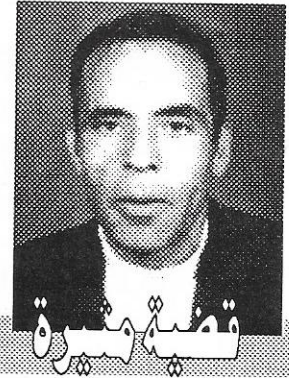
بعد اعتراض مصالح السكنى على بناء وتجهيز البقعة الممنوحة لنا من طرف العمالة، وبعد البحث الطويل على بقعة لا يثير بناؤها اعتراض أحد، تبين لنا أن الدولة و3 أو 4 أشخاص يستحودون على مجمل الأراضي مما جعل سومة الأرض باهظة وفي غير متناول مقاول متوسطة كمقاولتنا.. لم يبق لدينا والحالة تلك إلا أن نتقدم بطلب إلى الدولة كي تفوت لنا بقعة تابعة للأموال المخزنية في إطار دورية الوزير الأول 4 / 180 (بتاريخ 15 ماي 1975) حول تفويت الأراضي المسترجعة. رُفِضَ الطلب بحجة أن البقعة المطلوبة تقع بأرض رخوة تتخللها المستنقعات! وتم اقتراح بقعة علينا بدلها بيقوناد في ضاحية مدينة سلا فقبلناها، وقدمنا بشأن ذلك طلبا تم قبوله وأعطيت لنا بعد 6 شهور.

3- في أنفاق عمالة الرباط

«... تقدمنا بطلب رخصة البناء من عمالة الرباط (لم يتم إنشاء عمالة سلا حينها بعد).. انتظرنا 4 شهور. لا جواب وعندما ذهبنا للعمالة للاستفسار قال لنا التقني المكلف وهو أجنبي بأن البقعة غير قابلة للبناء، أخبرناه أن الوزير الأول وافق لنا على بناء البقعة وقدمنا له رسالة من معاليه، فأجاب بأن الوزير الأول لا يعرف شيئا!

عدنا بعدما يتسنا من إفهام المسؤولين في عمالة الرباط. وعمدنا إلى بناء بركة للحارس في انتظار ما ستؤول إليه أمور الرخصة، فجاءت القوات المساعدة وحجزت أكياس الإسمنت وجمعت الرمال. واستدعانا قائد مقاطعة بوقنادل فأذكر علينا إقدامنا على البناء بدون رخصة. أفهمناه أن القانون يعتبر أن طلب الرخصة إذا لم تتم الإجابة عنه في أجل شهرين فهو طلب مقبول تلقائيا، ثم إننا لا نبني وإنما نقيم بركة لحارس يحرس الأدوات. غير أن سعادة القائد لا يريد أن يفهم أي شيء وقال لنا بالحرف «ممنوع ممنوع سيروا تفاهموا معاهم فالعمالة».

بعثنا بتلغرافات عديدة إلى عامل الإقليم دون أن نتلقى جوابا لمدة طويلة. ثم جاءنا الجواب أخيرا برفض الطلب. بعد ذلك



قصة مشيرة



البلاد وبإمكانه أن يفيدها ويستفيد هو كذلك بدل الأجانب من خدمة وطنه.

وهكذا شرع في إجراء اتصالات مع زملائه في المهجر وأقنعهم بالتعاون معه، فقرر الدخول نهائيا إلى الوطن للقيام بواجبه بالمساهمة في بنائه والعمل على إيجاد العمل لبعض من لا عمل لهم.

انكب خلال شهري أبريل وماي على دراسة المشروع في الداخل والخارج مع المحترفين في القطاع، ولم يحل شهر يونيه حتى أتم الدراسات.

المناهة أو الـ «P.S.A» على الطريقة المغربية:

1- في أنفاق البنك الوطني للإنماء الإقتصادي

قبل إيداع الملف لدى ب. و. إ. كانت جميع العناصر كاملة. وكانت الشركة قد أعدت تجهيز العمل في المنطقة الصناعية بمدينة طنجة، ومن هنا تسمية الشركة أصلا (وكانت هذه المنطقة آنذاك هي المنطقة الصناعية الوحيدة على طول الساحل حتى الجديدة).. ووضعت طلبا لقرض لدى نفس المؤسسة البنكية منذ ماي 1980 لم تتم دراسته (بمسطرة P.S.A) بعد سنة تم التوقيع على العقد في 15 سبتمبر 1981! وخلال تلك المدة يقول رئيس مجلس إدارة الشركة:

«... كنت ألتقي استدعاءات واستفسارات لا معنى لها... وبعد ذلك طلبوا منا لأسباب لها علاقة بالسياسة الاقتصادية، حسب زعمهم، أن ننقل الشركة إلى المركز الوسط بدل طنجة على أساس أننا الشركة الوحيدة المستثمرة من أجل التصنيع في هذا المجال وحتى نكون، حسب تبريرهم قرييين من الجميع مادامنا سنتولى تزويد كل المناطق الاقتصادية! هذا مع العلم أنه إلى ذلك الوقت كانوا يستوردون تلك المواد من دول أوروبا.

سنتيم 10Km (3 9 مليون
وباعتبار الأثمنة
المطبقة في الكثير من المدن
الأخرى بما فيها مدينة سلا
فإن 160 Km لن تكلفنا إلا
حوالي 5 مليون سنتيم.
أما ما يخص الماء فقد
طلبوا منا إيصال الماء
الموجود على بعد 500 متر
فقط بما قدره 16 مليون
سنتيم.

اضطرارنا لأن نتدبر
أمرنا بحفر بئر واكتراء
مولد كهربائي (Groupe
Electrogene) عند مكتب
الأبحاث والمساهمات
المعدنية B.R.P.M قبل أن
نضطر أمام إلحاح الحاجة
للرضوخ لشروط «لاريد».
وإيصال الشركة بتقوثر أقل
مما يتطلبه المشروع.

.. المهم أن برنامج إنجاز المشروع تم طبقا للعقد مع ب.و.إ.
وأن النفقات والإنجازات تمت تحت مراقبته ووفق ما أمر به..
وكانت هذه المرحلة من إقامة المشروع قد كلفتنا ما قيمته
495 مليون سنتيم أي بزيادة 45 مليون سنتيم على ما تم تقديره
لها.. وقما بتكوين 25 مستخدم وعامل وإطار.. ودامت الماطلة في
ترخيص استيراد الآليات 4 شهور أخرى.. وتضررنا كثيرا من
انخفاض الدرهم..

إلا أن كل هذا التحمل وإصرارنا على البقاء ومواصلة العمل
لم يرق للمتربصين والمتنظرين على آخر من الجمر ساعة مصرع
المشروع.. وهكذا جنوا وعمدوا إلى استعمال آخر ما تبقى لهم من
أسلحة ضدها، فعمدوا إلى تجميد 70 مليون سنتيم بقيت لنا
مستحقات على الأبنك بعدما استنفذنا Fonds de roulement في
«أطلع وأهبط الخاوي».. وهو ما اضطرنا إلى إلغاء عقود التوريد
والتصدير..*

5- في أنفاق الدوائر العليا

عندما وصلت القضية إلى حد ظهور مقاصد البعض المبيتة
وعدم رضاهم بغير اغتيالها، اضطر السيد الناصري إلى رفع

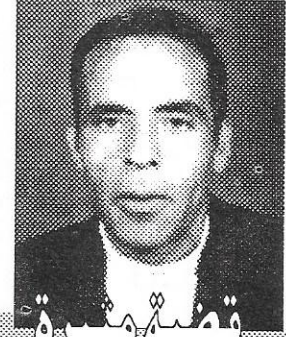
استدعونا إلى العمالة،
فاقترحوا علينا أرضا
بتمارة ووعدنا بتجهيزها
قبل إتمام أشغال البناء
وطلبوا منا أن نفوت لهم
البقعة التي منحنا إياها
الوزير الأول بثمن
مضاعف 12,0 درهم م 2
(كانت كلفتها على
الشركة 6,00 درهم م 2)
قبلنا الانتقال مجددا إلى
تمارة ورفضنا تفويت
البقعة ببوقنادل لأن
القانون يمنع ذلك 5
سنوات على الأقل. ومع
ذلك رخص لنا البناء
شفاهيا على مساحة 7000
م 2 وفق حدود محددة..
ثم تقلصت المساحة إلى
6766 م 2.. ثم تمت
مراجعة الحدود عدة
مرات بدعوى غلط

التصاميم مما أضاع لنا شريطا عرضه 7 أمتار وطوله 100 متر أي
مساحة 700 م 2، وترتب عن ذلك إدخال محطة التحويل
الكهربائية إلى داخل البقعة الأرضية ضدًا على القواعد التقنية التي
تقضي بأن يكون باب المحطة على الشارع. باختصار فقد قضينا
سنة 1982 و 1983 في إقامة بناية لمقر الشركة وسط مضايقات بدءا
من السور وهدمه وإعادة بنائه من جهة ووسط تحرشات مصالح
الأشغال العمومية (بإيعاز من جهة معينة) والتي طالبتنا بتجهيز
مدار (Rond point) «

4- في أنفاق الوكالة المستقلة للتوزيع R.E.D

أما بالنسبة للمتاعب مع R.E.D فيقول السيد الناصري:
«... كانوا في العمالة كما أسلفنا وعدونا بالتجهيز وإيصال
الكهرباء من التزاماتهم إلى العمل عند إكمال البناء... وعند مته
تملصوا من التزاماتهم قالوا لنا «ضبروا مع "لاريد"».
ذهبنا عند لاريد واشترط علينا المسؤولون بها بناء محطة
للتحويل مزدوجة وقدموا لنا البيان التالي.

160 Km (1	59 مليون سنتيم
22km (2	18 مليون سنتيم



قصة قصيرة



تقرر اجتماع فريق العمل المعلوم بمقر ال B.N.D.E، وفي ساعة الاجتماع يوم 19 فبراير 1987 للتداول في الطريقة الأنسب لإعادة الهيكلة كما تقرر في اجتماع مقر وزارة الشؤون الاقتصادية، كان فريق عمل آخر بقيادة ال B.N.D.E يعيد هيكلة الشركة في مقر الشركة بطريقته الخاصة بحضور موظف بالمحكمة وبناء على حكم لن يصدر إلا بعد عامين ونصف أي يوم 12/10/1989، ولن ينص مع ذلك على حجز الشركة بالشكل الذي تم حجزها (خاصة وأنني قبلت الحكم وانضبطت لتنفيذه - رغم جوره علي - فرفضوه هم الذين طالبوا به مع أنهم لم يطعنوا فيه..)

لقد كسروا الأقفال، وقاموا باستبدالها بأقفال جديدة. والله يعلم ماذا صودر من الشركة وما تركوه فيها.. المهم أنني أصبحت بعد ذلك ممنوعاً من الدخول إلى الشركة. ومنعوني من الكثير من الوثائق الرسمية للدفاع عن حقوقي.

تليكس وزير الشؤون الاقتصادية ورسالة الوزير الأول

بعد تلك القرصنة، لم يجد السيد الناصري يد من رفع المشكلة مجدداً إلى السيد وزير الشؤون الاقتصادية الذي بعث في الموضوع تليكساً إلى السيد الرئيس المدير العام للبنك الوطني للإنماء الاقتصادي ونسخة إلى وزارة العدل، نوره فيما يلي:

تليكس مستعجل رقم 310 بتاريخ 24 فبراير 1987
الموضوع: المتابعات الممارسة ضد شركة نوراقيس (تجارة)
المرجع: رسالتي رقم 37272 بتاريخ 20 / 02 / 87.
سيد الرئيس:

أتشرف بتذكيركم بمحتوى مراسلتي الموماً إليها في المرجع أعلاه والتي من خلالها أخبرتكم بأن لجنة وزارية مختلطة مكلفة بمعالجة حالة شركة نوراقيس - والمكونة من ممثلي وزارات الداخلية، والمالية والصناعة والتشغيل وممثلين عن مؤسساتكم ومؤسسات الصندوق المركزي للضمان - قد سطرت أهمية البحث عن حل للمشكل المؤلم لشركة نوراقيس وقررت ضرورة إقرار برنامج إعادة هيكلة هذه الشركة تحت إشراف مؤسساتكم.

في انتظار تحقيق برنامج إعادة الهيكلة المطلوبة، أرجوكم أن تعالجوا إيجابياً إمكانية توقيف مؤقتاً للمتابعات الممارسة حالياً من طرف مؤسساتكم ضد الشركة المعنية.

إمضاء: م. الزين الزاهيدي.

الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية

المشكلة إلى الدوائر العليا. وهكذا افتحت وزارة العدل تحقيقاً ملف 18.679 / 84 ما لبثت أن أغلقت وأحكمت إغلاقه. في هذه الأثناء تقدم السيد الناصري بطلب إلى السيد الوزير الأول لتسوية وضعية الأرض حتى يتمكن من الحصول على قرض. أجنبي يمكنه من تسديد القروض الداخلية وإعادة تشغيل الشركة مع إعلامه بأنه تم الاتفاق على إرجاع الديون بمنتوجات الشركة.. حبذ المسؤولون الفكرة ووعده بتقديم كل الدعم له ومشروعه..

وفي 30 يناير 1987 احتضنت وزارة الشؤون الاقتصادية اجتماعاً للجنة وزارية مختلطة أصدرت قراراً تضمن برنامجاً لإعادة هيكلة الشركة في أجل لا يتجاوز 3 أشهر وهو ما كان موضوع رسالة يوم 20 فبراير 1987 إلى السيد الناصري من السيد وزير الشؤون الاقتصادية هذا نصها بالحرف:

الموضوع: الصعوبات التي تعترض شركة «نوراقيس»
أتشرف بأن أحيطكم علماً بأن لجنة وزارية مختلطة مكلفة بمعالجة حالة شركة «نوراقيس» قد اجتمعت يوم 30 يناير 1987 بمقر وزارتي.

وخلال هذا الاجتماع سطرت اللجنة الأهمية التي توليها لإقلاع هذه الشركة وتقرر إنشاء فريق للعمل مكلف بإقرار برنامج إشادة هيكلة الشركة. ويضم هذا الفريق ممثلي ال B.N.D.E و C.D.I و B.M.C.E ونوراقيس. وسيجتمع الفريق بمقر البنك الوطني للإنماء الاقتصادي، وسيحظى خلاصات اجتماع اللجنة المكلفة بمعالجة الملف.

امضاء: الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية مولاي الزين الزاهيدي.

6 - قرصنة

وقبل تسلم رسالة السيد الوزير - يحكي السيد الناصري -

والتي ترأسها وزارة المالية بدون جدوى. وتدخل السيد مدير الخزينة والتمويل الخارجي وضبط التمويل مع البنك الأوروبي للمساهمات B.E.I، واجتمعت لجنة وزارية من جديد بوزارة المالية يوم 19 يناير 1989 وسطرت أهمية إعادة دراسة المشروع وكلفت مكتب التنمية الصناعية بذلك ولم يتم هذا الأخير إلا بجزء من الدراسة. «... وفي 15 أبريل 1990- يقول الناصري- أدليت بدراسة كاملة ومتكاملة طبقا للقرارات الإدارية خاصة منها قرار الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية بتاريخ 10 / 08 / 1989 وقرار وزارة المالية بتاريخ 19 / 12 / 1989 وقرار اللجنة التقنية لعمالة الصخيرات- تمارة بتاريخ 19 / 06 / 1990...»

«... سعيًا بعد ذلك من جديد- يسترسل السيد الناصري- إلى المسؤولين لدى ال B.N.D.E. لعلهم يعتبرون قليلا، فكان الرد الذي أدهشنا، قالوا لنا بالحرف:

«... نحن لا يهمنا لا الوزير الأول ولا وزير الشؤون الاقتصادية...»

في أنفاق وزارة شؤون الجالية المغربية بالخارج

بعد تأسيس وزارة شؤون الجالية.. قام السيد الناصري بمساع لدى المسؤولين الذين تفهموا مشكلته لبعض الوقت وعده يعمل «اللازم» بعد دراسة الملف من مختلف جوانبه وفي انتظار ذلك تبناه في إطار مؤسسة الحسن II للعمال المهاجرين وأخذوا يصرفون له حوالة شهرية بقيمة 3000,00 درهم وتولوا دفع مصاريف إقامته بأحد فنادق العاصمة.. وبعد شهرين على هذه الحالة «... احتججت لدى المسؤولين على تسويقهم الذي طال- يقول الناصري- وأخبرتهم أنني

بعد ذلك عرفت القضية تطورات نحو مزيد من التعقيد حرك أكثر من جهة وكانت موضوع العديد من المراسلات من مختلف الوزارات لا سيما وزارة المالية، التشغيل، الداخلية والإعلام ثم الوزير الأول نفسه والذي وجه رسالة في الموضوع إلى وزير الشؤون الاقتصادية بتاريخ 88/02/19 ووقعها بخط يده هذا نصها:

الموضوع: في شأن شركة «نورافيس»
سلام تام بوجود مولانا الإمام.

وبعد، فقد لفت السيد وزير الداخلية والإعلام نظري إلى الصعوبات التي مازالت شركة «NORAVIS» تعرفها، والناجمة أساساً عن موقف المؤسسات البنكية.

وقد سبق تدارس هذا الموضوع، في نطاق لجنة وزارية، على صعيد وزارتك، وتم وضع برمجة لإصلاح الوضعية، باتفاق مع المؤسسات البنكية المذكورة، إلا أن هذه البرمجة لم تعرف طريقها نحو التنفيذ.

لذا، وتلافياً لما يمكن أن تشكله هذه القضية من سابقة قد تخلق أصداء سلبية لدى المستثمرين من أفراد جالياتنا بالخارج، فأني أحيل عليكم ملفها، طالباً منكم إيلاء الموضوع ما هو جدير به من الإهتمام، واتخاذ ما ترونه مناسباً من إجراءات للوصول إلى حل نهائي له، باتفاق مع الجهات المعنية.

مع خالص التحيات والسلام.
عزالدين العراقي

بعد ذلك وفي 15 مارس 1988 أحيل الملف على وزارة المالية قصد التمويل وأدرج مراراً في لجنة التمويل بالبنك الوطني للإنماء الاقتصادي

هذه هي التوجيهات...

لذا، وبموجب ما يمكن أن تشكله هذه القضية من سابقة قد تخلق أصداء سلبية لدى المستثمرين من أفراد جالياتنا بالخارج، فأني أحيل عليكم ملفها، طالباً منكم إيلاء الموضوع ما هو جدير به من الإهتمام، واتخاذ ما ترونه مناسباً من إجراءات للوصول إلى حل نهائي له، باتفاق مع الجهات المعنية.

مع خالص التحيات والسلام.

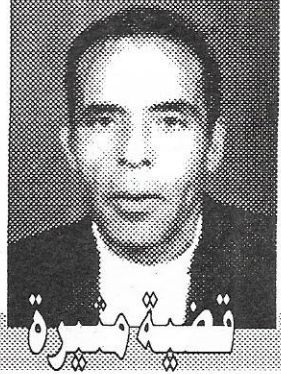
عزالدين العراقي

...وهذا هو الواقع

لنتذكر 10 دجنبر 1990 يوم أعلنت خمس منظمات حقوقية في المغرب عن ميلاد (ميثاق وطني لحقوق الانسان) بعد شهور من المناقشات والمشاورات. واذا استثنينا مباركة الهيئات السياسية المعارضة لهذه الخطوة في حينها، فاننا لم نعد نسمع منذ ذلك التاريخ بهذا الميثاق حتى من طرف واضعيه... بل لم نشهد ولو أحياء ذكرى اعلانه فأحرى ان نتكلم عن الخطوات العملية لترجمة بعض مبادئه في الممارسة في ميدان حقوق الانسان. لذلك يحق أن نتساءل: أين نحن من الآمال المتولدة عند البعض لحظة ميلاد الميثاق، ومن الوعود التي تمخضت عنه للارتقاء بالعمل الحقوقي الى مستوى أفضل (1)؟

الميثاق الوطني ومأزق العمل الحقوقي

مصطفى الجوهري



لا أحتاج إلى الصدقات وإنما إلى كسب قوتي بكدي وعلمي إلا أنه لا حياة لمن تنادي. أكثر من هذا فلقد تعرضت لضغوطات لأن أوقع على أحد المحاضرين الجائزة المتعلقة بالشركة، وهو مخضّر لا اجتماع يقر برنامج يضر بالشركة وبالبلاد على السواء، إذا أن البلاد ستتضرر منه بما قيمة 30.000.000 سنتيم (ثلاثون مليون) كل سنة على مدى 17 إلى 25 سنة.

أما الشركة فتضررت مباشرة بما قيمته مليون و 973 ألف درهم أي 1.973.000.000 سنتيم...

وفي الأيام الأخيرة يفاجأ السيد الناصري باستدعاء للجمع العام للشركة يوزع على المساهمين (حتى الذين غادروا الشركة منذ زمان) وبتوقيع خبير محاسب أخذ يوقع الوثائق باسم الوزير و«... لست أدري بأي موجب حق، لأنني الوحيد المخول للتوقيع باعتباري المتصرف المفوض في الشركة» يقول السيد الناصري.

وبعد: فهذا هو موجز شق من قصة «نورافيس» وصاحبها -وهو على هوله- لا يشكل إلا ما ظهر من جبل الجليد العائم، لأن ما خفي منه اعظم يتداخل فيه الإقتصادي الوطني لمصالح «ماقيا اقتصادية» بمكائد أجهزة حفظنا الله وإياكم من شرور خدماتها... ومع كل ذلك فنحن في دولة القانون والمؤسسات!



ع ان المتتبع للعمل في هذا المجال لابد وأن يلاحظ أنه بقدر ما كانت فكرة الميثاق إيجابية بقدر ما شكل واقع منظمات حقوق الانسان الحاجز الذي يقف في وجه ترجمتها إلى فعل. وخير دليل على ذلك مؤتمري كل من المنظمة المغربية لحقوق الانسان والجمعية المغربية لحقوق الانسان حيث تجسد مأزق العمل الحقوقي بفعل خضوعه لهيمنة السياسي الذي يملئ شروطه في بداية ونهاية المطاف. وهكذا شهد مؤتمر المنظمة المغربية نقل بعض القضايا السياسية والتنظيمية إلى داخله بحكم طبيعة مكوناته و«التقاليد» التي خلقتها المنظمة منذ ميلادها (الحديث) والتي ليس آخرها «انتخاب» المسؤولين عنها من خلال الترشيحات الحزبية واختيار مؤسسيها للمستقلين وفقاً لمقاييس لا يعلمها غيرهم بهدف اعطاء مصداقية «للمنظمة المستقلة عن الأحزاب والسلطة». وقد أبان هذا الوضع عن ضعفه والخلل الذي يعاني منه سواء بعد التأسيس (انسحاب الرئيس الأول وبعض الاعضاء المؤسسين) أو أثناء المؤتمر الأخير (رفض تنظيم سياسي - منظمة العمل - تحمل مسؤوليات قيادية كأسلوب للإحتجاج، موقف عمر عزيزي الرئيس السابق (2) ...). ونفس الشيء ينطبق على مؤتمر الجمعية المغربية لحقوق الانسان الذي عرف مشادات من نفس النوع ولو «بحدة» زائدة وشهد مقاطعة بعض المؤتمرين ورفض البعض الآخر تحمل المسؤوليات كموقف من النهج السائد داخل الجمعية، ويمثل موقف مكتب فرع الجمعية بمراكش ابرز احتجاج حيث قاطع المؤتمر ورفض جميع أعضاء المكتب إعادة ترشيح أنفسهم للفرع وانسحبوا من الجمعية، هذا دون ان نغفل كون الجمعية أصبحت بالنسبة للبعض منبرا يجب «الاستيلاء» عليه أو توجيهه على الأقل ضمن تصور سياسي معين، الأمر الذي يجعل قضية حقوق الانسان ثانوية من هذا المنظور، أي ملحقة

بقدر ما كانت فكرة الميثاق ايجابية بقدر ما شكل واقع منظمات حقوق الانسان الحاجز الذي يقف في وجه ترجمتها الى فعل

جمعيات " الميثاق " لم ترق بعملها الى الافضل ولم تتجاوز حاسياتها وحزازاتها

به وخاضعة له، ومن هنا فقط تأتي «أهميتها» بالنسبة له. اما عن العصبية المغربية لحقوق الانسان فانها في مأمن من كل ذلك - إلى حد بعيد - نظرا لتطابعها الحزبي الواضح.

لذلك فان محطة (الميثاق) لم تشكل أي تحول جوهري في نشاط جمعيات حقوق الانسان، إذ مباشرة بعدها عاد كل شيء - تقريبا - إلى عهده السابق وبالتالي لم يخرج عمل الجمعيات عن اطاره العادي والمحدود (بيانات للصحافة من حين لآخر - اجتماعات داخلية...) بل أكثر من هذا ان الخطوة المتميزة في مجال حقوق الانسان خلال هذه السنة كانت هي تشكيل «اللجنة الوطنية للمطالبة باطلاق سراح المعتقلين السياسيين» التي جاءت مبادرة تأسيسها من خارج الجمعيات الحقوقية وهو دليل

آخر على أن جمعيات «الميثاق الوطني» لم ترق بعملها إلى الأفضل ولم تتجاوز حاسياتها وحزازاتها، بل ظلت حبيسة تصورات لم يكن فيها (الميثاق الوطني لحقوق الانسان) - إلى حد الآن - إلا «تسجيل موقف للتاريخ» في ظرف سياسي كان يعرف حدة المواجهة على المستويين الاجتماعي والسياسي. هذا الظرف الذي كانت أحداث 14 دجنبر 1990 أبرز محطاته وتشكلت على ضوئها اجن لتقصي الحقائق سواء على مستوى الهيئات الرسمية (المجلس الاستشاري لحقوق الانسان - البرلمان) أو منظمات حقوق الانسان (كل واحدة على حدة)، ولم يصدر للرأي العام إلى الآن أي تقرير عن حصيلة تحرياتها وتحقيقها. كما أن الكلام الذي راج عن اصدار تقرير سنوي لم ير النور. وفي هذا الاطار يمكن اعتبار العمل الذي تقوم به جريدة وطنية (الاتحاد الاشتراكي) حول حصيلة النشاط في استعمال السلطة وحصيلة الخروقات المتعلقة بالعمل النقابي أهم عمل ينحز على هذا المستوى في الساحة الوطنية.

ان الأمر - في اعتقادنا - يستوجب تكاثف الجهود لرصد نقاط الضعف ونقد الاخطاء بكل جرأة بهدف البحث عن مرتكزات لتطوير العمل في ميدان حقوق الانسان سواء من حيث التصورات التي تحكمه أو أساليب العمل واشكال التعبئة والتنظيم ومواجهة الخروقات ونشر الوعي بهدف تقوية مكانة النشاط الحقوقي والرفع من فعاليته في الصراع الدائر داخل المجتمع من أجل إقامة ديمقراطية حقبة وقرار دولة الحق والقانون وبناء ركائز المجتمع المدني التي لازالت تعاني الكثير من الضعف والهامشية. □

(1) مجلة على الأقل، العدد الثاني.

(2) حوار مع كل من ابراهيم ياسين مع جريدة (أنوال) غداة المؤتمر، وحوار عمر عزيزي مع مجلة (على الأقل) العدد 56.



موقعا متميزا بين السلطة والمعارضة أهمية بالغة في كسب الرأي العام وتأطيره في خدمة حقوق الإنسان. وبالإضافة إلى الجانب النظري لفلسفة حقوق الإنسان فإن لها جانبا أخلاقيا مهما سواء في تحديد مواصفات العضو العامل في منظمات حقوق الإنسان أو في تحديد خطاب حركة حقوق الإنسان ونشر ثقافتها. إن الوضع العام في المغرب، وكذلك التقدم الذي عرفه خطاب حقوق الإنسان مؤخرافي العام يمنح العمل الحقوقي في المغرب إمكانات هامة للقفز فوق شروط نشأتها وتأسيس حركة حقوقية متميزة تساهم بشكل فعال في تأسيس معالم المجتمع المدني ودولة الحق والقانون ونشر ثقافة حقوق الإنسان ومهام العمل الحقوقي، وبمراجعة نقدية للأساليب المتبعة حاليا، وإبداع أساليب جديدة تتوافق مع خصوصية ميدان حقوق الإنسان، وبحيث صبغة جديدة لضمان استقلالية العمل الحقوقي. فهل ستستطيع حركة حقوق الإنسان في المغرب التمرد على حاضنها وبناء ذاتها المستقلة...؟

وفي القدرة على اختراق المجتمع والضمير الوطني وخلق رأي عام متشعب بمبادئ حقوق الإنسان ومناصر لقضاياها.



لقد نشأت حركة حقوق الإنسان المغربية في أحضان القوى السياسية المعارضة وجاءت نتيجة للأزمة التي عاشها العمل السياسي لهذه القوى وعدم قدرتها على تحقيق الحد الأدنى من حقوق المواطنة من جهة وكذلك لعدم وجود ضمانات الحماية لعمل هذه القوى في غياب ديمقراطية حقيقية تسمح لها بالتعبير عن اختياراتها دون تضييق أو منع. فظلت حركة حقوق الإنسان تبعالذلك امتدادا للعمل السياسي وأحدى الوسائل التي تعمل على إسناده وحمايته. كما ساهمت شروط هذه النشأة في وضع خطط عمل هذه الحركة حيث التصق تصورهابفهم تسييسي برز على مستوى الخطاب والمطالب، وبممارسة لم تراخ خصوصية قضايا حقوق الإنسان واستعارت مفاهيم وأساليب العمل المتبعة في الميدان السياسي والنقابي مما جعلها تعيش نفس الإشكالات النظرية والتنظيمية التي عاشها ويعيشها هذا العمل.

إن حركة حقوق الإنسان سلطة معنوية وهدفها هو بث قيم إنسانية وسلوكية جديدة، ومخاطبة الوعي والرأي العام وأهم ما ترمي إليه هو أن تتحول إلى مصدر قيم ومعنوي يقيس به الجميع سلطة وجماعات وأفراد عملهم وأهدافهم ويضعونها في ميزان احترام حقوق الإنسان، وهي بهذا ليست حركة معارضة للسلطة كما أنها ليست موالية لها أو لأي طرف سياسيا كان أو إجتماعيا وليس لها أية أهداف سياسية تنوي تحقيقها، وهي حين تطالب بتوفير الضمانات القانونية والابدائية لاحترام حقوق الإنسان أو تقف في مواجهة الانتهاكات اليومية فانها تعتمد على الرأي العام كسلاح وحيد لتدعيمها. ولهذا كان لاتحاد حركة حقوق الإنسان

هل ستستطيع حركة حقوق الإنسان في المغرب التمرد على حاضنها وبناء ذاتها المستقلة...؟

أفق العمل الحقوقي

عزيز أخوادر

حركة حقوق الإنسان في المغرب من أقدم الحركات الحقوقية في الوطن العربي. ولكنها لازالت تعاني من ضعف كبير في مفهومها العام والاسس التي تقوم عليها. ومازال هناك بالنسبة للعاملين في منظمات حقوق الإنسان في المغرب الكثير من الغموض حول طبيعة المهام الموكولة لهذه المنظمات والأساليب الضرورية لتحقيق ذلك. وهو ما جعلها لم تستطع لحد الآن تحقيق مكاسب ملموسة في مجال احترام حقوق الإنسان

يوأكبهم مع كامل الأسف ما يوازيه على مستوى الاحتضان والتبني من طرف المنظمات الحقوقية دفاعاً عن الحق واستنكاراً لخرقه.

كما أن الأجهزة المركزية للجمعية المغربية لحقوق الإنسان تمر بأزمة تحول، ناتجة عن مشكلات مرتبطة بتصوراتها العامة للنضال الحقوقي وكذلك نظراً للتغيب الكلي لأساليب وتقنيات العمل في هذا المجال، إذ بدون تحديد دقيق وموثق لأساليب عمل الهيئات المركزية والفرعية، ستبقى الجمعية تراوح مكانها، هذا في الوقت الذي أصبحت فيه جميع المنظمات الدولية والقطرية العاملة في هذا المجال تولي أهمية قصوى لطرق العمل، وذلك حتى تتمكن من الابتعاد عن الإرتجال والفوضى والانتظارية وانعدام الفاعلية وما يصاحبها من تذبذب للطاقت والفعاليات دون الحصول على أية نتائج موثقة مضبوطة وملموسة. وأظن أن ذلك راجع بالأساس إلى طبيعة الأطر العاملة في الحقل الحقوقي باعتبار أغليتها علاقتها مع الحقل السياسي والنقابية أو الجمعوية وبذلك فهي تحمل معها هذا الموروث الذي ومع كامل الأسف غالباً ما يعتمد أساليب لا علمية ولا تمت بصلة لمتطلبات الظروف الراهن سواء تعلق الأمر بالدقة في المواعيد واحترام الوقت والالتزامات أو بالفاعلية المنبثقة على التنظيم والتقسيم العقلاني للمهام في ارتباط وثيق بمبدأ العمل الجماعي الديمقراطي كصيغة للفاعلية ولإشراك كافة المساهمين في بلورة ممارسة نوعية في هذا المجال.

كما أن الجمعية لم تنبذ ولحد كتابة هذه السطور برنامجاً عاماً للعمل ولم تحدد بعد أهدافاً للتحقيق سواء على المستوى المركزي أو الفرعي وبذلك يمكن القول دون تعسف أن الممارسة الراهنة للجمعية تتوقف في صف رد الفعل البطيء والمتخلف عن ركب الخروقات وكثافتها، وهي بذلك تتخلى بالتدريج عن موقعها الذي حافظت

يشكل المؤتمر الوطني الثالث للجمعية المغربية لحقوق الإنسان أول مؤتمر تعقده الجمعية في ظروف عادية، خصوصاً بعد انسحاب كافة مناضلي القوى السياسية الديمقراطية (الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، حزب التقدم والإشتراكية، منظمة العمل الديمقراطي الشعبي) وكذلك العديد من الشخصيات الحقوقية المستقلة. لذلك كان من المفروض أن يندرج المؤتمر الثالث في سياق إعادة النظر في الأطر والأشكال والأساليب النضالية للجمعية، وأن يطرح أرضية نقدية لتجربة عقد من الزمن قيل عنها الكثير ولم يكتب ويوثق إلا نادراً.

الجمعية المغربية لحقوق الإنسان

وإمكانية التطور الديمقراطي

أحمد رانة

وكان المأمول هو أن يتمكن الرأي العام الوطني وكذلك المناضلون الحقوقيون والمتعاطفون من تلمس أوجه الخلاف والاختلاف، النفور و"العداء" التي أدت إلى بلقنة الحقل الحقوقي وتذرره إلى تنظيمات حقوقية متعددة بدل التنظيم الحقوقي الواحد والمستقل.

وإذا كان الانتظار على هذا المستوى لم يولد ديناميكية جديدة على صعيد تدعيم النضال الحقوقي، وتجدير وغرس مبادئ حقوق الإنسان في صفوف المواطنين، فإنه لم يستطع كذلك حتى تجاوز الطروحات الكلاسيكية في هذا المجال والتي باتت تراوح مكانها منذ سنة 1979. وإذا كان من تطور على مستوى الدفاع عن الحق فإنه من جهة المواطنين المتعرضين لكافة أشكال خرق حقوق الإنسان، حيث تطورت أساليب التعاطي معها واتخذت أشكالاً متنوعة ومتعددة كالعنف المضاد، والمسيرات الاحتجاجية، والعرائض والإضرابات عن الطعام، والاعتصامات والامتناع عن أداء بعض الضرائب... إلى غير ذلك من أشكال بؤادر نهوض المجتمع المدني الذي يشهد في المرحلة الراهنة تطوراً ملموساً بل وتقدماً لم



إمكانية التطور الديمقراطي

عليه بناء على جراءة المواقف التي اتخذتها في السابق رغم ضعف معلوماتها من جهة ونظرا للاستقلالية التامة عن السلطة التي ناضلت من أجلها. إلا أن هذا لا يعفيها من ضرورة تحديد مساطر للعمل الحقوقي، يتم اللجوء إليها حسب نوعية الخرق الذي يتعرض له المواطن، وضمنها المسطرة الاستعجالية التي تطبق كلما تعرض مواطن (ة) لخرق يهدد حياته. ورغم أن مسألة المسطرة الاستعجالية قد تم طرحها وتطبيقها من طرف فرع مراكش للجمعية م.ح.إ فإن الهيئات المركزية لم تول هذه القضية ما تستحق من أهمية ولم تعطيها حجمها الحقيقي، بل يمكن القول وبكل موضوعية أنه تم تجاهل تجربة فرع مراكش، رغم أنها تشكل أبينا ذلك أم كرهنا تجربة رائدة خصوصا فيما يتعلق التوثيق وإصدار التقارير بانتظام وبأساليب العمل، وهذا ما عجزت عن القيام به الهيئات المركزية وباقي فروع الجمعية م.ح.إ. بدون استثناء. وأظن أنه إذا أمسكنا جيدا بهذه المعطيات، يمكننا أن نتفهم الأسباب الحقيقية التي كانت وراء إفراط الهيئات المركزية في التضامن القومي، وعلى حساب العديد من الملفات وخروقات حقوق الإنسان بالمغرب. هذه إذن - وباختصار - أهم الملاحظات العامة التي سادت قبيل انعقاد المؤتمر الثالث للجمعية، وأثرت في مجراه العام بشكل سلبي. ومع ذلك، أو رغم ذلك، فقد تفاعرت الآمال المعقودة عليه، وذلك حسب درجة

استعداد المناضلين للإسهام في تطوير الممارسة الحقوقية والحفاظ على خصوصيتها واستقلالها. ويمكن القول أن ما عقد من آمال على المؤتمر قد تبخر أمام ما سيسفر عنه من نتائج هزيلة إذا ما قورنت بالمعضلات التي كان من المفروض مناقشتها من جهة وأمام الأجواء العامة والسلوكات التي رافقتها طيلة انعقاد المؤتمر وكذلك صيغ التغاطي مع مجموعة من الحقوق وبمنطق الإلغاء السياسي من جهة أخرى.

فقد تراوخت وجهات النظر داخل المؤتمر بين التي تهدف إلى تطوير النضال الحقوقي وفق ما تمليه علاقة الربط المستقل للحقوقي عن السياسي، وبين التي ترى عكس ذلك، أي تداخلا وتشابكا من الصعب حل معضلة الفصل فيه. بين المقترحات التي حاولت توسيع النضال الحقوقي من جهة القاعدقو ابتغائهم مبرراتيا (مجالس الفروع، اللجان المحلية، اللجان الوظيفية...) وبين المقترحات التي تتخوف من هذا التوسع التنظيمي الديمقراطي وترى فيه إما شكلا تنظيميا لا فائدة ترجى من ورائه (مجلس الفروع) أو تسببا تنظيميا من شأنه أن يشكل خطرا على مصير الجمعية ككل (هكذا!!!) (اللجان المحلية)... بين من يحاول التطور والتقدم على أساس الفاعلية والمساهمة العملية في النضال الحقوقي اليومي عبر الفروع والمركز عبر تحمل المسؤوليات على كافة المستويات احتكما لفاعلية العضو الحقوقي وبين وجهات النظر التي كانت تستحضر بشكل أو بآخر منطق التوازنات السياسية وبالتالي تستحضر منطق عدد الأصوات المحصل عليها باعتبارها تشكل روح العملية الانتخابية. وقد ساهم هذا المنطق في توتر الأجواء العامة التي مر فيها المؤتمر مما دفع بالعديد من المؤتمرين الفاعلين إلى الجهر بتحفظهم من المجرى العام للمؤتمر خصوصا بعد الإعلان عن تشكيلة اللجنة الإدارية للجمعية م.ح.إ.

أما فيما يتعلق بالإعداد المادي والمعنوي

للمؤتمر وكذلك أشغاله العامة، فلا يمكن للمتتبع إلا أن يستغرب، ويتساءل عن الأسباب الحقيقية بل والخلفيات التي دفعت بالعديد من مسؤولي الجمعية إلى التسرع، والتشبت الكبير بضرورة انعقاد المؤتمر في ظروف انعدام التهييء المادي والمعنوي الجدي وذلك بشهادة بعض مسؤولي وأعضاء الجمعية. رغم أن منطق التأجيل كان من المفروض أن يكون هو السائد... أما فيما يتعلق بأشغال المؤتمر الثالث فيمكن تلخيصها في عملية إعادة تشكيل الهيئات المركزية المسؤولة وفي إصدار العديد من المقررات والتوصيات فيها الإيجابي (المرأة، الطفل، الحقوق الثقافية واللغوية) والسلبي (المقرر التنظيمي، القانون الأساسي) الذي قلل من صلاحيات الفروع ومن استقلاليتها وعمل على توسيع اختصاصات الهيئات المركزية بإضافة العديد من اللجان المركزية والوطنية. هذا في الوقت الذي انصبت فيه التعديلات التي أدخلت على القانون الأساسي والمقرر التنظيمي على إفراغ مجالس الفروع واللجان المحلية من محتواها التنظيمي الديمقراطي، بل حتى مجرد سردها جاء كتكريس لمنطق قبول الشيء لالغائه.

وعموما يمكن تلخيص هذه المسلكيات انطلاقا من زاوية نظر نقدية لا تدعي الحياد فيما تقدمه من انتقادات بل العكس تتموقع من أجل صياغة تصور ديمقراطي جديد للعمل الحقوقي المستقل. وفي هذا الاتجاه، يمكن تلخيص انتقاداتنا للمؤتمر كالتالي:

1- الطبيعة التكوينية لأغلبية الأطراف السياسية التي وقفت في وجه التوسع التنظيمي التحتي، باعتبارها من الأطر الجديدة تماما عن الحقل الحقوقي، وأغلبية الفروع التي انتدبوا عنها حديثا التكوين ولا تمتلك أدنى تجربة في مجال حقوق الإنسان، وكانت "مواقفهم" من العديد من المسائل مواقف سياسية

بالدرجة الأولى.

2- الخلط بين الحقوقي والسياسي، وانعدام آليات الفصل بين جمعية حقوقية تستند إلى المواثيق الدولية والاعلان العالمي لحقوق الإنسان وتعتبرها مرجعيتها الأساسية وعليها تستند في التعاطي مع أي خرق لحقوق الإنسان، وبين الفهم السياسي لحقوق الإنسان الذي يلتجئ في اتخاذ القرار الحقوقي إلى إذعام الموقف السياسي في الحقوقي (وهذا في أحسن الأحوال...)، بل غالباً ما يصبح الموقف من خرق حقوق الإنسان يحدده الموقف السياسي منه. وهذا هو الذي حصل بالنسبة للعديد من القضايا كالمسألة التنظيمية والحقوق الثقافية واللغوية ومشكل التواصل بين التلميذ المتكلم بالأمازيغية والمعلم... الخ. وأعتبر قضية الخلط بين الحقوقي والسياسي إحدى المعضلات التي تشل وتساهم في عرقلة نمو مصداقية الجمعية خصوصاً على المستوى الدولي، وقد تشكل في المستقبل المنظور مفترق الطرق بين التصور الذي يعطي للحقل خصوصياته ويعمل وفقها وبين التصور اللاحقي للحقوقي بالسياسي.

وقد أكدنا مراراً وتكراراً على أن نصيب الإيديولوجية في نظرية حقوق الإنسان لا يجب أن يطغى على نصيب الحق! وحتى بالنسبة لمن يحركه الهم "الإيديولوجي" لحقوق الإنسان من الضروري والديمقراطي أن يعتمد على المواثيق الدولية والاعلان العالمي لحقوق الإنسان والقوانين المطابقة لها محلياً... وإلا فإن هوية الجمعية ستتحول من جمعية للدفاع عن حقوق الإنسان إلى جمعية تمارس سياسة حقوق الإنسان وهذه ليست بتاتا من مهماتها بل من مهمة التنظيم السياسي.

3- تكثيف اهتمام الأطراف السياسية بضرورة احتلال مواقع مهمة في الأجهزة المركزية للجمعية. م.ح.إ. بشكل يثير القشعريرة ولا يريح أي مناضل حقوقي

ديمقراطي. أما أسباب هذه الإهتمامات فترجع في نظري إلى الأهمية القصوى التي تشلها الأجهزة المركزية خصوصاً على مستوى اتخاذ القرارات الهامة والحاسمة من جملة قضايا، وفي مراقبة أنشطة الفروع، وفي السهر على تطبيق مقررات المؤتمر الوطني، ونظراً كذلك وهذا هو بيت القصيد، لما تسمح به من إمكانيات لربط علاقات على المستوى الدولي أو المغاربي... إلى غير ذلك من الصلاحيات التي وإن لم توضع في إطارها الصحيح خدمة لحقوق الإنسان فلن تغني ولن تسمن من جوع، والدليل هو العديد من العراقيل والصعوبات التي مازالت تعترض الجمعية على مستوى الانتماء للعديد من المنظمات الدولية المهمة بحقوق الإنسان.

4- انعدام التكوين الحقوقي للمناضلين واعتمادهم أساساً على أساليب العمل الموروثة عن الحقول السياسية والثقافية التي لا تمت بصلة لأساليب العمل في الحقل الحقوقي.

ومن ناحية أخرى مازالت العديد من الأفكار الخاطئة تتعايش وبتفاوت في

الممارسة الراهنة للجمعية تتموقف في صف رد الفعل البطئن والمختلف من ركب الخروقات وكثافتها

نصيب الإيديولوجية في
نظرية حقوق الإنسان لا
يجب أن يطغى على
نصيب الحق

صفوف مناضلي الجمعية، وأعتبرها مجرد ذريعة لإخفاء العجز عن تطوير ممارسة النضال الحقوقي خصوصاً حين يتم تفسير بعض المعضلات التي يتخبط فيها النضال الحقوقي ويتم إحالتها إلى «طبيعة العمل الجمعوي باعتباره عملاً تطوعياً» (هكذا!!)، ويتم إشهار هذا السيف في وجه كل من حاول إقرار مبدأ المحاسبة وضرورة الالتزام بميثاق شرف، وبالحضور بانتظام في الاجتماعات... الخ. كأن العمل التطوعي يعني التسبب والفوضى والمزاجية في العمل خصوصاً حين يتعلق الأمر بحقل حيوي وخطير مثل الحقوقي وإلّا فما الجدوى من إطار تنظيمي للدفاع عن حقوق الإنسان؟؟؟

وكاستتباع منطقي لأزمة التطور والنضج التي تمر منها الجمعية تبني المؤتمر ستة مبادئ جديدة وهي الكونية، الشمولية، التقدمية، الديمقراطية، الجماهيرية والاستقلالية. ومع ذلك فلم أستوعب المبادئ، ولا أدري هل طبيعة الحقل الحقوقي تستدعي مثل هذه الشعارات، لسبب بسيط هو أنه بمجرد أن يتبنى إطار حقوقي المواثيق الدولية والاعلان العالمي لحقوق الإنسان كمرجعية وإلا ويفترض فيه (أي الإطار) أن يكون مؤمناً بالشعارات الستة وبالأخوة والتضامن والتكافل... وبالحقوق الثقافية واللغوية، وبحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وبحقوق الطفل والمرأة والعدالة... الخ.

إن مجموع هذه المشكلات التي تعترض سير الجمعية في هذه المرحلة بالذات لتضع في نفس الوقت العديد من المناضلين في حالة ترقب لا مكانية تطور الممارسة الديمقراطية بين أجهزتها المركزية والفرعية من جهة وبين مكاتب الفروع واللجان العاملة من جهة ثانية على أساس الشفافية والحقيقة لكل المنخرطين.

فهل ستتمكن الجمعية من تحقيق التطور الديمقراطي المطلوب؟؟

هذا ما ستجيب عنه التطورات القادمة. □

فيما يتعلق بالمنظمة المغربية لحقوق الانسان كانت فكرة التأسيس هي ان تكون منظمة واحدة لحقوق الانسان في بلادنا، لم أشارك أنا في هذه المرحلة ولكن حسب معلوماتي فإنه وقع الكثير من الاتصالات مع الجمعيتين الأخريتين، ومع القوى الوطنية الأخرى ولكن لم تؤد للأسف إلى بلورة الفكرة وهكذا تأسست المنظمة المغربية لحقوق الإنسان على الشكل التالي. إذا الفكرة مطروحة وينبغي أن نتحاور حولها.

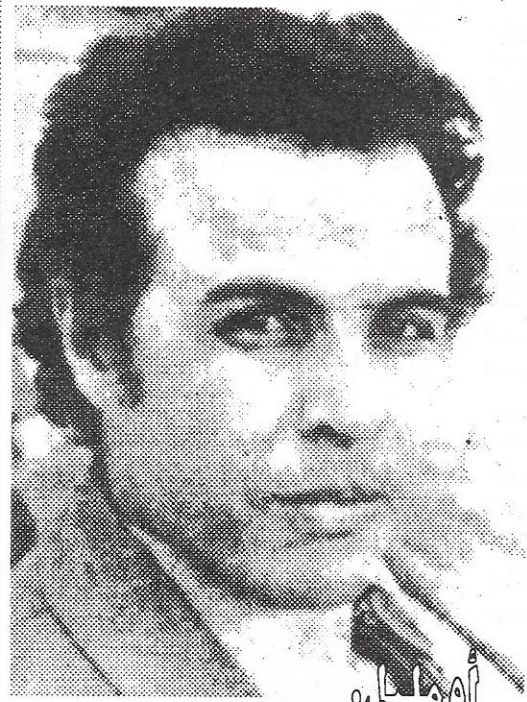
أما لجنة تنسيق بين المنظمات الثلاثة فسوف تتركس التعدد الموجود في هذا المجال، وهو تعدد كما قلت غير ضروري كما هو ضروري بالنسبة للمجال السياسي أو الثقافي أو النقابي. لجنة تنسيق إذا استمرت فإنها لن تفعل سوى أن تحافظ على وضع تعددي غير مرغوب فيه في مجال حقوق الانسان بالذات، أنا مع الالتفاف حول قضايا محددة نناضل جميعا حولها ولكن في نفس الوقت نبدأ حوارا معمقا في أفق تكوين منظمة واحدة لحقوق الانسان.

■ هناك من يرى بأن وجود المنظمات الحقوقية الثلاثة لا مبرر له من منطلق حقوق الانسان، وأن هذه التعددية ناتجة عن دوافع قد لا تكون في جوهرها مرتبطة بقضايا بحقوق الانسان، وبالتالي فإن أي وحدة لهذه المنظمات لن تتم إلا إذا توفرت استعدادات سياسية معينة، لا ترى بأن هذا دليل على عدم توفر شرط الاستقلالية بمعناه الدقيق داخل

"أنا مع الالتفاف حول قضايا محددة نناضل جميعا حولها، ولكن في نفس الوقت نبدأ حوارا معمقا في أفق تكوين منظمة واحدة لحقوق الانسان."

"يجب أن نتخذ قرارا شجاعا لإزالة راسب الماضي... ومن غير المقبول أن تتأسس منظمة حقوق الانسان بناء على (كارثيل) أحزاب سياسية."

هذا بعض ما ورد في حوار أجرته "على الأقل" مع د. علي أو مليل، وفيما يلي نص الحوار:



أو مليل

في أفق تكوين منظمة واحدة لحقوق الانسان

■ خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الأخير للجمعية م.ح.س. استبعدت في كلمتك مسألة لجنة للتنسيق بين المنظمات الحقوقية المغربية الثلاثة، وطرحنا فكرة الوحدة داخل منظمة واحدة لحقوق الانسان، ماهي الكيفية التي تتصورها للوصول إلى ذلك.

○ المبدأ الذي طرحت به هذه الفكرة بناء على مشاورات داخل المكتب الوطني للمنظمة المغربية لحقوق الانسان وكذلك مشاورات حصلت بين أعضاء المجلس الوطني للمنظمة تنطلق من أن هناك امكانيات طبيعية لتوحيد عمل حقوق الانسان في المغرب، إذا كانت مرجعيتنا واحدة وهي المواثيق والصكوك الدولية، وبطبيعة الحال الكثير من المبادئ الأخلاقية القيم الموجودة في تراثنا، وكذلك يكون التوحيد ممكنا إذا كانت أساليب العمل هي الأساليب الخاصة بحقوق الانسان والمتعارف عليها. والمسألة الثالثة، وهي الاستقلال عن التيارات والأحزاب السياسية وعن السلطة أيضا. أعتقد أنه إذا توفرت هذه الشروط يمكن لعمل حقوق الانسان أن يتعزز وأن ينصب في تنظيم واحد. بطبيعة الحال الظروف الآن تنهيا أكثر. الكيفية التي نشأت فيها جمعيات حقوق الانسان كانت ظروفها خاصة، أعتقد أنها الآن أصبحت متجاوزة.

مجال حركة حقوق الانسان.

○ إذا انتظرنا ان تتوفر الاستعدادات السياسية لكي تشكل منظمة واحدة فمعناه اننا نستمر في ربط عمل حقوق الانسان بالتبعية للتيارات السياسية، اتفق أنه ينبغي ان نتجاوز انفسنا جميعا وان نتخذ قرارا شجاعا لازالة رواسب الماضي عند الكثيرين منا. وينبغي أن تكون قناعة نابعة من مناضل حقوق الانسان أولا، وان لا يمر تشكيل منظمة واحدة عن طريق توافق هيئات سياسية، كما أنه من غير المقبول أن تأسس منظمة حقوق الانسان بناء على «كارتيل» احزاب سياسية. فذلك من غير المضمون في نجاح أي منظمة حقوقية. وحدة تمر عبر الهيئات السياسية أولا وأخيرا. يجب أن تكون هناك قناعة مناضل حقوق الانسان هي مبدأ الانطلاق في هذا التأسيس، طبعاً ربما في الماضي كنا نمر عبر الاحزاب السياسية، مازالت الاحزاب السياسية ضرورية لانها تشكل دعماً ومساندة لعمل حقوق الانسان، لكن هناك فرق بين الدعم وبين المشاركة المطلقة في تأسيس وتسيير منظمات حقوق الانسان وينبغي ان يكون هذا واضحا تمام الوضوح لضمان نجاح عمل حقوق الانسان سواء على مستوى أي جمعية لوحدها أو في أفق تكوين منظمة واحدة لحقوق الانسان.

■ ألا ترى بأن هذه الشروط لن يتم توفرها الا إذا تم تشكيل تصور عام لمهام وعمل حركة حقوق الانسان ينطلق من الخصوصية التي يتميز بها هذا الميدان، والذي نلمس بأنه لازال يعرف ضعفا كبيرا في بلادنا.

○ سؤالك في محله، قد تكون هناك فكرة وهي عقد ندوة حوار، وسنطرح فيها كل القضايا الأساسية لحقوق الانسان للنقاش، وكذلك التصورات لانجاح عمل موحد لحقوق الانسان، هذا هو المطلوب،

ليس المطلوب ان يكون هناك اتفاق بين قوى سياسية، ولكن المطلوب ان يجتمع المهتمون بمبدأ حقوق الانسان فيمابينهم وان يطرحوا للحوار مجموعة القضايا الأساسية في عمل حقوق الانسان، وان يصلوا في نهاية الأمر، وعسى أن يصلوا إلى نوع من التراضي العام حول التصور المشترك لعمل حقوق الانسان في بلادنا وكذلك للاعداد لتنظيم موحد لعمل حقوق الانسان.

■ دكتور أولملي، كيف ترى افاق العمل الوجودي في ميدان ح.س. في المغرب العربي وأين وصلت خطوات تأسيس اتحاد مغربي لحقوق الانسان. وكيف سيتم حل مشكلة تواجد أكثر من منظمة لحقوق الانسان في كل من الجزائر والمغرب.

○ في الواقع كانت هناك محاولات في وقد التقت مجموعة 55 هذا الباب بين 87 و90 من المنظمات المغربية لحقوق الانسان، لكن اعتقد ربما أنه كان هناك نوع من التسرع آنذاك لأن الفكرة التي طرحت في البداية هي فكرة تكوين فدرالية لحقوق الانسان والطرح ربما كان فيه نوع من التسرع، لأنه كان من الأحرى أن تأتي هذه الفكرة فيما بعد وأن يكون هناك نوع من التنسيق المكثف بين هذه المنظمات المغربية، وبعد

«لجنة التنسيق بين المنظمات الثلاث سوف تكرر التعداد الموجود»

عمل مشترك وربط العلاقات بكيفية منظمة، وبعد ذلك بلورة فكرة مغربية لحقوق الانسان. هذه هي الفكرة التي خرج بها المؤتمر الأخير للمنظمة المغربية لحقوق الانسان، بعد ملاحظة للروابط وللجهود كمرحلة أولى وبطبيعة الحال في هذا الأفق. ينبغي أن تشترك كل المنظمات التي لها تمثيلية حقيقية ولها استقلال حقيقي على مستوى البلاد المغربية.

■ نود أن نعرف تصورك لمجال التكوين في ميدان حقوق الانسان بوصفك رئيساً للمنظمة ح.س. من جهة، وكذلك، بوصفك عضو مجلس إدارة المعهد العربي لحقوق الانسان.

○ هناك نوعان من التكوين. هناك تكوين مناضلين متمرسين بهذا العمل الخاص الذي هو عمل حقوق الانسان وان تتكون لديهم خبرة. ومجموعة من المعلومات ومعرفة بوسائل العمل التخصصية في مجال حقوق الانسان. هذا جانب. الجانب الثاني هو تكوين يتعلق بنشر ثقافة حقوق الانسان. فأكيد أن الجانبين مرتبطان. وفيما يتعلق بالمنظمة ح.س. أقول أن هذا الجانب مازال يحتاج إلى أن نشغل فيه أكثر مما فعلنا، بالنسبة لما يقوم به المعهد العربي لحقوق الانسان هو شيء جيد لكن الندوات التي ينظمها يشارك فيها في نهاية الأمر عدد محدود من المتدربين رغم تكاليفها الباهضة التي تتطلبها، ولذلك لكي يستفاد منها أكثر ينبغي المتابعة. أولاً ينبغي الاستمرار وربط الاتصال بين الذين تدربوا أن يكون هؤلاء المكونين، هم مكونين بدورهم حتى تنتشر من جهة عملية توسيع أطر المناضلين لحقوق الانسان والذي هو من جهة ثانية نشر ثقافة ح.س. ولذلك اعتقد أنه يجب أن يقع الربط بين جميع الذين استفادوا من هذه الدورات وان يكونوا محلياً أساسيين في عملية التكوين. □

وقائع سلام يعلن

لما كان سميح كنعان طفلاً، رافق أباه يوماً إلى عمان. وتمت الرحلة على متن حافلة انطلاقاً من نابلس مسقط رأسه في الضفة الغربية حتى العاصمة الأردنية. ومنذ ذلك اليوم لم يسافر كنعان أبداً إلى الخارج. قضى عشر سنوات في السجون الإسرائيلية بتهمة «القيام بأعمال إرهابية» ولما أطلق سراحه منذ أربع سنوات منع من دخول مدينة القدس. أما الطائرة فلم يركبها في حياته إلا هذا الأسبوع متجهاً إلى مدريد. فحين اتصل به هاتفياً فيصل الحسيني القائد الشبه الرسمي لحركة فتح داخل الأراضي المحتلة، ليقول له: «هبي نفسك، فقد تم اختيارك عضواً رسمياً في الوفد الفلسطيني لمؤتمر السلام»، كان عمال القصر الملكي في مدريد يفرشون البساط الأحمر الذي سيسير فوقه أمام الكاميرات ليأخذ مكانه بجانب رفاقه امام اسحاق شامير.

■ سيمون بيغون
■ ترجمته
الحبيب بالحوش





وفي النبذة الموجزة عن حياته التي وضعت بجانب اسمه في تلكس وكالات الأنباء نجد جزئية صغيرة تضيف شيئاً من الملح فوق الجرح أو بعضاً من العسل إلى الشهامة: ولد سميح كنعان من أم يهودية، فهو اذن يهودي حسب القانون الحاخامي. فأبوه فلسطيني من الضفة الغربية وأمه يهودية من المغرب، وقد تزوجا قبل ان تنشأ دولة اسرائيل. وخلال هذا الأسبوع المدرسي الاحمق، ابتسم سميح كنعان «اليهودي الفلسطيني» أكثر من مرة يسمع صفارات الدرجات النارية الرسمية التي تحيط بكل تنقلاته. كم هي مرحلة هذه الصفارات في مدريد، يقول هذا المعتقل السابق مع نفسه، وكم هي رقيقة في اذن هذا الانسان الذي تم نقله الكثير من المرات من سجن لآخر في سلة متعفنة وجسمه يتألم من ضربات العصي واليدين مجروحتين بقيود الفولاذ....

وفي احدى امسيات مدريد، رافقت الصحفي الاسرائيلي (يورام بينور) حتى فندق فيكتوريا حيث يقيم الوفد الفلسطيني. كنا نريد الالتقاء بكنعان، إلا أن البوليس الاسباني منعنا من الدخول. ثم جاءنا في الشارع أحد أعضاء الوفد الفلسطيني ليقول لنا: «نعتذر، فنحن في اجتماع سيستمر حتى وقت متأخر من الليل، لذلك أعطينا تعليمات صارمة بعدم ازعاجنا، فإلى الغد». لقد خاب أمل (بينور) وتكدر، فدخل احدى الحانات الاسبانية القريبة وجلس قرب النافذة مثل أولئك الذين يرقبون تحركات نجوم السينما. وبعد أن شرب جعتين أو ثلاث، بدأ يضحك: «أرأيت كيف طردوني وكأنني منحرف، علما بأنهم يبحثون عني في الأراضي المحتلة لكي أنشر بياناتهم أو أساعدهم في الحصول على إذن بالمرور أو رخصة استيراد من الادارة العسكرية! لقد أصبح العالم معكوسا، وهذا أمر عجيب، اعتقد أنني سأكتب مقالا جيدا هذه

الليلة...».

ان (بينور) ليس صحفيا مثل الآخرين. فمنذ سنة 1986، ودون أن يسمع بغونتر والراف G.Wallraff (1) انجز نفس العمل الذي قام به الكاتب الالماني الشهير. لقد تنكر كعامل فلسطيني وعاش مثلهم حيث عمل في مطابخ المطاعم الاسرائيلية يتقاسم مصير وخوف مهاجري مخيم (جبليّة) في غزة، وتقمص وضعية الذين يعيشون تحت الاحتلال يطارده ازدراء ولا مبالاة المستعمرين (يكسر الميم). لقد نشر الكتاب الذي يعكس هذه التجربة باللغة الإنجليزية أولا وترجم لحوالي عشر لغات وصدرت الطبعة الثانية منه في الولايات المتحدة ضمن كتاب الحبيب، إلا أنه لم يجد أي ناشر اسرائيلي لا مهتم» إلى حد الآن (2). ومن حسن حظه ان جريد Hadashot التي وظفته كمراسل لها في الأراضي المحتلة، مكنته من ممارسة موهبته يوهيا، أي موهبة الملاحظ الذي يعرف كيف يقوم بالمجهود ليضع نفسه موضع الآخر.

يقول بينور Binour: «إن مهنة الصحافة لا تهمني بتاتا. ان ما يهمني في تعبير «مراسل بالاراضي المحتلة» هو عبارة «الأراضي المحتلة» لا كلمة «مراسل». ففي الجريدة التي أعمل بها مثلا، يوجد شخص يعمل «مراسلا في شؤون وزارة السكنى»، وهذا أمر يضحكني. انني في الاراضي المحتلة أعمل كمراسل لدى الشرطة والصحة والجيش والعمل والتربية والسياسة والحرب وكل ما تريد. انني

وحدي أحكي حياة مليون وثمان مائة ألف شخص. ولا أريد أن أتخلى عن هذا العمل لفائدة أي منصب صحفي في العالم.» وشيئا فشيئا بدأت الحانة تمتلئ. في البداية وصل مراسلون اسرائيليون آخرون أبعدوا بدورهم عن فندق فيكتوريا حيث ينعقد هذا المساء أحد «اجتماعات التنسيق» بين منظمة التحرير الفلسطينية والوفد الفلسطيني التي يتحرق الجميع لنشر سبق اعلامي عنها. بعد ذلك وصل الفلسطينيون منشرحين: مستشاري ومساعدو الوفد، مترجمين، كاتبات، ممثلي القرى والمنظمات السياسية، أي عدد لا بأس به من الآتين من الأراضي المحتلة رفقة 14 عضوا رسميا يسكنون جميعا في فندق فيكتوريا. وتوجد أيضا داخل الحانة فتيات اسبانيات جميلات جدا وصحفيون أمريكيون، وطلبة عرب متعاطفون مع القضية الفلسطينية والعديد من الناس الذين يمكن لأكرم بكر مساعد فيصل الحسيني أو وفيق أبو سيدو مناضل من غزة أن يقضيا مهم نهاية أمسية جيدة. إلا أنهم سمعوا أننا نتكلم بالعبرية في مائدتنا، فاختاروا بسرعة أن يتجهوا نحونا: ففي هذه الليلة بمدريد سنسكر «فيما بيننا» أي الفلسطينيين والاسرائيليين وسنسقط الأقنعة. بدأ أكرم بكر يهاجم بقوة: «عزيزي بورام (بينور) انني سعيد بالتعرف عليك وسأقول لك هذا المساء شيئا كان يجب أن يقول لك فلسطيني: ربما أن كتابك (2) يبكي الناس في بيوتهم باستراليا أو

نقله الاسرائيليون مرات كثيرة من سجن لآخر في سلة متعفنة وجسمه يتألم من ضربات العصي واليدين مجروحتين بقيود الفولاذ

وثائق سلام معان

دولتين مستقلتين. فمئذ سنوات وأنا أردد ما أقوله لكم، فماذا تريدون؟ هل تريدون أن اتعري بالكامل أمامكم؟» في هذا الوقت حتى العاملين في المقهى تخلوا عن أطباقهم ليشاهدونا بدهشة. فقال بينور) ان حلمه الكبير هو الذهاب لتونس بهدف إجراء استجواب مع أبو عمار، ثم أضاف «لا، في الواقع ان أكبر حلم بالنسبة لي هو أن يستقبلني (أبو عمار) في القدس باعتباري سفيراً لاسرائيل لدى الدولة الفلسطينية»... □

(1) مؤلف Tete de turc, ed. la decouverte

1986

(حيث تقمص الكاتب شخصية عامل تركي مهاجر في ألمانيا، وعاش مع الأتراك وعمل معهم لعدة شهور ليأتي الكتاب كتعزية -من داخل- للواقع المأساوي الذي يعيشه المهاجرون في ألمانيا-. وقد أثار هذا العمل ضجة كبيرة وقت صدوره- المترجم)

(2) صدر كتاب (يورام بينور) بالفرنسية تحت عنوان Les brebis galeuses, ed. Presses de la Sorbonne, cite, 1990

عن L'autre journal عدد 19 دجنبر 1991.

لاصدقائه. بقيت تتصل به يوميا بالهاتف من القدس أو تلأبيب خلال أسابيع تمده باخبار اليوم وأخبار الشارع، تلك التي لا نجدها لدى وكالة رويتر أو وكالة الاخبار الفرنسية. وبدأت تضحك، ثم أخرجت مفكرتها ليرى اسمه ورقم هاتفه مسجل بها: انه هنا، وفيق أبو سيدو من غزة. ثم قال لها: «تصورى انه بعد أسبوع سأعود إلى هناك مع منع التجول والجنود والأصوليين الملتحين! هيا، انني ادعوك لشرب جعة أخرى...»

ان الاسم الكامل لأكرم هو أكرم بكر Baqr. إلا أن الموظفين الاسبان كتبوا على البطاقة الرسمية أكرم بيكر Baker. ويحكي ان العاملين في الفندق يعتقدون أنه ابن عم كاتب الدولة الأمريكي. وكانت هذه بداية ضحك متواصل لا يمكن التحكم فيه، والذي ينتهي بالفواق والدموع وصياح كل الجالسين حول الطاولة... انذاك التفت الصحفيون الامريكان مشدوهين وأخرجوا آلات التصوير ليخلدوا هذا المنظر الغير المألوف بين الفلسطينيين والاسرائيليين الذين ينفجرون ضحكا ويضربون ظهور بعضهم البعض لاجراء حسكة سمك مشوي بقيت عالقة في حنجرة أحدهم. وبدهشة تكاد تكون أقل كان سينمائي فلسطيني يعيش في بلد عربي يكتشف لأول مرة اسرائيليين من لحم وعظام و«فلسطيني الداخل». وبدأ يخرج من تحفظه تدريجيا، ثم يقول: «أريد أن أسألكم: لما تقوم الدولة الفلسطينية، هل تعتقدون أن التلفزة الاسرائيلية ستشتري مني ارشيفاتي؟ انني امتلك مئات الساعات عن ياسر عرفات في جميع الاوضاع، وهذا بكل تأكيد يستحق المشاهدة» انذاك انطلق الضحك المتواصل مجددا، بعد ان قلب «بيكر» شفثيه وبدأ يحاكي ياسر عرفات وهو يحاور شبكة التلفزة الامريكية س.ن.ن.: «ماذا تريدون؟ انني أقول لكم باننا نعتزف باسرائيل، ونريد السلام، واننا على استعداد للعيش بجوار بعضنا في

اليابان، إلا أنني وجدته يقطر بالأبوية وراحة الضمير» وقد أصاب هذا الكلام (بينور) في الصميم فرد عليه: «أريد أن تعرف رأي الناس فيك داخل مخيمات اللاجئين ياسيد هـستشار فيصل الحسيني؟ أتعرف الاسم الذي يطلقه عليك أطفال الانتفاضة الصغار؟ انهم يسمونك «تيك-تاك» (Tic-Tac) لان أقمصتك تكون مكوية بشكل جيد وتحمل في يدك حاسوبك المتنقل». يضع أكرم الكاس فوق الطاولة وعيناه جاحظتان وهو لا يصدق ما سمع: «أنا تيك-تاك»، يرددها وهو يحل ربطة عنقه (ويؤكد انها لوالده) ثم يطوي اكمام قميصه ليكشف عن ندوب لازالت موشومة في معصميه من جراء الحرق بالسجائر ويدق باظافره على ثلاثة اسنان اصطناعية تزين فمه: «أنظر: انها ذكريات تحقيق في رام الله، ويتجروون على نعتي ب«تيك-تاك»...؟ وبتأثر تقوم (أنا سارا غوستي) التي عملت لمدة طويلة كمراسلة للأسبوعية (هاولام أزي) باخراج مفكرتها. في تلك اللحظة يقول لها وفيق: «هل تتذكر ينني؟» تنظر اليه بتمعن وتبحث في ذاكرتها المليئة ب«الاتصالات» و«المخبرين» و«الشخصيات» لتذكر في لحظة وجيزة: لقد تعارفا سنة 1988 في بداية الانتفاضة تحت الغازات المسيلة للدموع، اذ التقط آلة التصوير التي سقطت منها في الوحل وسلمها لها وقدمها

بالأبيض

يصدق بعض الناس أن المنتصر في الجزائر، ولو بعد حين، هي الديمقراطية. ومع أنهم يرون أن الجيش نزل بثقله وأجهض مسيرة منفلته كادت أن تقود إلى حرب أهلية، إلا أنهم يتصورون أن لَيَّ عنق (الانقذاد) وإرغام مناصريها على ارتكاب الحماقات بطريقة غير مباشرة، قد جنب المجتمع المدني ويلات تحكم ديني كان من الممكن أن يقحم الجزائر في دوامة من الإضطراب.

ومع هذا وذاك فإن هناك شخصا معتوها يرى أن المسار الديمقراطي الذي اختطه النضال الشعبي ضد التحكم المطلق الذي امتد لسنوات وتفجر في الشارع في أكتوبر 1988، كان يحتمل حلولاً أخرى، قد تكون وسطاً بين التحكمين العسكري والديني. أي أن يتم الإقناع بصيغة تعمل من أجل التراضي بين مختلف المكونات في المجتمع الجزائري لعلها تنمي الوعي الضروري بوجوب اقرار الديمقراطية المتجردة من كل إلغاء أو إقصاء. وكان من الممكن لهذه الصيغة أن تنهض مع الوقت على وجوب التعجيل بحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها المواطنون. لأنني أفهم أن كل توجه ديمقراطي لا يمكن أن يعيش على أرض الواقع، وأن يؤثر في الناس ويتعاملوا به في حياتهم اليومية، وأن ترعاه السلطة أو تسهر عليه... إلا إذا كان المواطن في مأمن من فقر الحياة وبطالتها، وإلا إذا كانت القوى التي تهمها الديمقراطية قادرة على بناء تصورهما للعمل الديمقراطي إنطلاقاً من أسسه الموضوعية.

والحقيقة الواضحة في كل هذا أن لا ديمقراطية مع الجوع، والعكس صحيح أيضاً، لأن الاقتصاد بالنسبة للديمقراطية كالسبب في علاقته بالسبب، وستظل الديمقراطية دائماً مجرد دعوه ظرفية للتحايل على انفاق التحول في مجتمعات العالم الثالث مالم تتحرر هذه المجتمعات من غائلة التبعية.

مصطفى المراهط

الجزائر: الديمقراطية والتغيير الصعب

منذ حصول الجزائر على استقلالها السياسي

وتبنيها لديمقراطية الحزب

فروحيه تهيم على

فضاءات الحياة العامة

وتؤطر الحياة المدنية

لنموذجها المطلق في

القطاع الاقتصادي

المؤسس على صلب

التنظيم البيروقراطي

للانتاج وللجمال

الاجتماعي عموماً: الدولة،

الحزب، الشركات

الوطنية، التعليم، البحث

الأكاديمي... الخ، مما

ساهم في توغل البلاد في

دوامة من المشكلات

الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية التي تعطلت

معها جبهة التحرير

الوطنية من رؤية نظرها

المتكسبة والمحافظات التي

ظلت حبيستها طوال ثلاثة

عقود من الحكم السياسي

المنفرد بزماد المبادرة

والتقرير والتسيير العام

للدولة.

إبراهيم يزنان



ع وفرخ هذا الوضع العديد من الأجهزة البيروقراطية الجديدة التي بدل الانقلاب على إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل المتراكمة بقيت سجيئة القوالب التقليدية والمحافظة للأجهزة البيروقراطية الأم التي أنتجت بدورها مشاكل إضافية ظلت محافظة على جذرها الأصلي، وقد ساهمت هذه المعطيات في إعادة إنتاج نفس عناصر الأزمة التي أدت بتركاكمتها المتتالية إلى اختناق الاقتصاد الجزائري، وظهور مؤشرات تعميم الشلل على كل مجالات الحياة العامة، وتهديد الاستقرار السياسي لجهة التحرير الوطني خاصة.

وإذا كان احتكار السلطة من طرف جبهة التحرير الوطني وتمسكها بالمحافظة على الحكم طيلة ثلاثين سنة تقريبا، في تناغم تام والتصور السائد طوال فترة هيمنتها على المجتمع، والمؤسس على نظام الحزب الوحيد وإبعاد الديمقراطية عن مجالات الإنتاج والحياة العامة، فإن جبهة التحرير لم تستطع الانفلات من جرافة المد الديمقراطي الذي يزحف على العالم، خصوصا بعد انهيار المنظومة الشرقية وظهور الشفافية والديمقراطية والتعددية الثقافية كرافعات العمل السياسي وكمستلزمات لتأطير المجتمع المدني وتنشيطه، وذلك بأن تفاعلت مع الأوضاع الجديدة بشكل إيجابي على العموم.

وتحديدا بعد بروز علامات انفجار الوضع الأمني: انتفاضة 13 فبراير 1985 (1) بمناطق تيزي أوز الأمازيغية، وانتفاضة الشارع الجزائري من أجل العيش الكريم والديمقراطية في أكتوبر 1988 التي رسمت الطريق نحو التعددية السياسية والثقافية والعمل في مجال حقوق الإنسان، وأسست للتجربة الديمقراطية - قبيل إجهاضها - التي تعتبر رائدة ومتميزة عن باقي أوضاع الدول المغاربية المعتمدة شرعيتها على مؤسسات الواجهة المسخ المتعمد للديمقراطية والخرق السافر لحقوق الإنسان وعلى رأسها الحق في الحياة.

لذلك كان من الطبيعي أن تؤدي سياسة نظام بورجوازية الدولة الجزائر، -نظرا لطبيعته التكوينية والعقائدية على البيروقراطية المحسوبية والزبونية (Clientelisme)، إلى إنتاج الفقر والبطالة المتصاعدة وجيوش من المهمشين وأشباه العاطلين وفئات اجتماعية مهمشة تعتمد على الحرف التقليدية والاقتصاد الهامشي. وقد حوّل النظام هذه الفئات إلى قوة اجتماعية احتياطية (Armée de réserve) لها دور بالمجتمع في أتون العنف والإرهاب والاستبداد حين تحيل هذه القوة نحو تنظيمات الإسلام السياسي المتعصب كما هو الشأن الآن في الجزائر حيث اجتذنتها جبهة الإنقاذ «الإسلامية» عن طريق الاعتراف الوحيد والصريح بوجودها السياسي والاجتماعي، بأن فسحت لها مجال الفعل في الواقع من داخل إيديولوجية الجبهة وارتكنا لتعليماتها ولتصورها الكيانى للعالم ولأشكال الحكم... إلا أن الذي تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد هو أن جبهة الإنقاذ «الإسلامية» لم تحصل إلا على 3,2 مليوناً من الأصوات من أصل 13 مليوناً من الناخبين المسجلين ورغم ذلك تمكنت من حصد 188 مقعداً في مجلس الشعب (البرلمان) خلال الدور الأول من الانتخابات التشريعية مما أشاع الذعر والهلع في جسم المجتمع بفضاءاته المتعددة وأضحت التجربة

الديمقراطية تتأجج بين خيارين: - إما أن تستمر العملية الانتخابية التي أعطت الفوز الساحق لحزب سياسي لا يمثل إلا 24٪ من مجموع الجسم الانتخابي ولا يتردد في توصيف الديمقراطية بالكفر والإلحاد، مما يجعل كل الاحتمالات واردة بما فيها نشوء حرب أهلية بين أنصار جبهة الإنقاذ «الإسلامية» من جهة وكل المعارضين لمشروعها الكلياني من جهة ثانية.

- أو وضع حد للتجربة الديمقراطية وفتح الباب أمام المنرجية والعودة إلى الأساليب العتيقة في تسيير شؤون البلاد بتدشين عهد رجوع الجيش للسلطة السياسية وعسكرة كل فضاءات المجتمع المدني والسياسي وتجميد العمل الدستوري... الخ.

لقد شكلت الانتخابات التشريعية بالجزائر القنبلة الموقوتة التي تفجرت بترتيبات التحالفات السياسية بأن وضعت الأحزاب ومن جديد في اصطفايات قطعت -نسبيا مع المرجعيات التقليدية التي أطرت العمل السياسي المغربي، بفرض عنف المتغيرات السياسية وكثافتها وغلبة عناصر المفاجئة وسرعة تطوراتها وفي تلاحق الأحداث التاريخية التي خلقت حركية في أحشاء المجتمع المدني بتفجيرها للتناقضات تبشر بنهوض ديمقراطي عام للحركية الاجتماعية لتحديد موقعها في حرب المواقع الدائرة رحاها من أجل صيانة الجمهورية والديمقراطية والكرامة. ونتيجة لذلك ولدت التناقضات الراهنة العديد من «أجهزة أزمة التطور الديمقراطي» التي استنجدت بالجيش لوقف المسلسل الديمقراطي. وقد خلقت هذه المعطيات مواقف متباينة في الصف الديمقراطي في الجزائر تراوحت بين المطالبة العلنية لتوقيف المسلسل الديمقراطي بما في ذلك منع الناخبين من التوجه نحو الدور الثاني الذي اعتبره سعيد سعدي (2) زعيم «التجمع» من أجل الثقافة والديمقراطية بمثابة مراسيم الدفن الوطني

أنتجت الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعيشها الجزائر فئات اجتماعية مرمية على أطراف المجتمع المدني ومنفلتة من قبضة قوانينه ومعزولة عن اهتمامات القوى السياسية الديمقراطية

والعدل. مما يستدعي توفير الظروف المادية والمعنوية والجرأة الفكرية لمطالبة مسألة الدين الإسلامي في نطاقه المغربي الخاص، لاستخلاص النتائج وبناء بديل للوصفات النظرية والمواقفية الجاهزة التي لم تكلف متبنيها عناء البحث عن علاقاتها بمتطلبات الواقع العنيد....

ويكوح في الأفق خطر ربط تحقق الديمقراطية في الدول المغاربية بشرطية توفر ظروف موالية لتطبيقها في الواقع مما يبيح -ضمنيا- استمرار التأجيل اللامتناهي للعملية الديمقراطية بدرائع شتى وقيود تنتجها الظرفية السياسية للسلطة الحاكمة التي تراهن على هذا التلازم بين الديمقراطية وشرطية تحققها لتحديد عمر هيمنتها على المجتمع...

2- الحركة الشبابية المهمشة وعملية التغيير

انتجت الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعيشها الجزائر فئات اجتماعية مرمية على أطراف المجتمع المدني منفلتة من قبضة قوانينه ومعزولة عن اهتمامات القوى السياسية الديمقراطية. فلانظام بورجوازية الدولة بالجزائر استطاع أن يضمن لها حيزا ضمن انشغالاته الوطنية، ولا القوى الديمقراطية والفعاليات الثقافية درجتها كقوة فاعلة في سياق مشروع مجتمعي مستقبلي مؤسس على ضوء متغيرات وخصائص الوضع السياسي والاجتماعي والترتيب الطبقي الذي يضم

جماعيا، مما يستلزم اقتحام هذه الفضاءات التي تحتلها حركات الإسلام السياسي، بالالتزام بالمرونة والاحترام المبدئي لمعتقدات الشعوب سيرا على نهج تأسيس حركة تحرر ثقافية (النقطة الثقافية الديمقراطية الجديدة).

أهدافها بناء مشروع ثقافي مستقبلي يندرج ضمن مشروع اجتماعي مستقبلي عام يشكل المدخل الصحيح والديمقراطي لكنس الأفكار الاطلاقية الجاهلة بتطور التاريخ الانساني وبأبسط مقومات الحرية

(L'enterrement national). في الوقت الذي تمسك فيه حسين آيت أحمد زعيم جبهة القوى الاشتراكية بضرورة استمرار التجربة الديمقراطية خصوصا وأن رئيس الجمهورية يتوفر على العديد من الأسلحة الدستورية للحفاظ على حرمة المجتمع المدني والدستور. ومع ذلك فكل الموقفين يلتقيان حول إمكانية اللجوء إلى الجيش لقطع الطريق أمام جبهة الانقاذ «الاسلامية» التي أعطتها صناديق الاقتراع المشروعية لتثبيت صيغة الحكم الاستبدادي المنافي للديمقراطية والتعدد والحرية والتقدم. وهنا بالذات أصبحت إشكالية الديمقراطية في العالم الثالث تنطرح بإلحاح وتطرح معها ضرورات تاريخية لاعادة النظر في أشكال التعاطي مع القوى السياسية المحتكرة والمستغلة للدين وللجوانب الروحية للإنسان المغربي على الخصوص، ولتحديد أهداف مؤسسة المساجد العمومية، والتموقع إيجابيا اتجاه النصوص الدينية (القرآن والسنة) باعتبارهما إرثا حضاريا



2- تعاطي حركات الاسلام السياسي مع الإسلام ينبغ من فهم انتقائي. وتتبني الإسلام باعتباره أيديولوجيتها أكثر منه ديناً لها.

3- تضفي هذه الحركات على خطابها السياسي صفة القداسة والعصمة بربطه بالقرآن والسنة، وتقدمه كمشتق من الأصل وتعبير عن روحه وجوهره، مما يصعب معه على المواطنين بسبب الأمية أو الفقر المعرفي المدقع تلمس الفواصل والحدود بين الخطاب السياسي لتلك القوى وبين النص القرآني والسنة.

4- احتكار أطرها السياسية للفضاء الديني مع تعمد خلط الوظيفة الدينية (العبادات) للأئمة في الجوامع، بالوظيفة السياسية لمناضلي هذه الحركة مما ساهم في اضعاف طابع العصمة والقداسة على مشروع هذه القوى الذي يمرر عبر القناة خطبة الجمعة التي يقدسها المسلمون باعتبار مرتبتها في الصلاة «لأن من لغي فلا جمعة له».

5- عجز القوى الديمقراطية عن «إعادة النظر في المشروعية النظرية وفي الإمكانية التطبيقية للنموذج الغربي الفاصل بين الروحي والوضعي، ولا أقول بين الكنيسة والدولة باعتبارهما مؤسستين تتنافسان من أجل الاستيلاء وممارسة الحكم» (3).

هوامش:

(1) يوم 13 فبراير 1985 اجتمع آلاف من المواطنين في مدينة تيزي أوزو لمساندة سبعة (7) من المناضلين الأمازيغيين اللذين حوكموا بتهمة «الاخلال بالنظام العام» وكان من ضمن المعتقلين سعيد سعدي الزعيم الحالي للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية وكذلك الفنان فرحات مهني...

(2) جريدة «الحدث L'evenement» الجزائرية عدد 33، ص: 3.

(3) Mohammed Arkoun, "Pour une critique de la (3) raison islamique", Maisonneuve-Larose, 1984, p. 378.

على حركة المهمشين المرمية على أطراف انشغالات المجتمع هي حركات الاسلام السياسي التي قرأت الأوضاع بأدواتها الخاصة ونزلت إلى الواقع الملموس / ساحة الفعل الجماهيري المباشر مستعملة كافة الوسائل من استغلال النواحي العاطفية والروحية للمواطنين، وتوسيع دائرة المساعدات المادية والمعنوية للمعوزين والفقراء والمحتاجين، إلى تنظيم الرحلات والامسيات التعبوية... وتكون بذلك قد أسست عملياً لمشروعها السياسي المستقبلي بتمييز أتباعها عن باقي المواطنين وبأدلجة سافرة لكل الفضاءات الاجتماعية الممكن الفعل فيها...

ورغم أن حركات الإسلام السياسي القائمة على أساس فهم أنتقائي وانتهازي للدين لا تتردد في غرس بذور العداء والعنف في أحشاء المجتمع المدني وفي نشر الطاعة «لأمراء الاسلام» فقد تمكنت من اكتساح الجسم الاجتماعي بأن نشرت أيديولوجيتها المرتكزة على فهم تحريفي للدين، وأسست لنفسها أرضية احتكار الفضاء الإسلامي مؤسساً لثقافياً، وضمنت كل أسباب التوسع السرطاني. ولن تضيف جديداً في التأكيد على أن حركة الإسلام السياسي خلقت دينامية جديدة في الحقل السياسي وفي مجال التفكير بصفة عامة بإدخالها تعديلات جوهرية على أساليب النشاط السياسي والتثقيفي مستفيدة من تجارب القوى الديمقراطية ومبدعة في تعاطيها مع الأوضاع الجديدة بإنتاجها لأساليب حركية نافذة لعمق المجتمعات المغاربية...

مما سبق يمكن الخروج بخلاصات عامة ليست نهائية ولا ثابتة:

1- أن مجال فعل حركات الإسلام السياسي ينحصر في الحواضر وفي صفوف المثقفين والمتعلمين وحركة المهمشين.



فئات واسعة من المهمشين والحرفيين الفقراء والعاطلين المتعلمين. وبموازاة هذه التراتبية الجديدة في الاصطفاف الطبقي، توسعت دائرة المحسوبية والزبونية والرشوة والإجرام وتناول المخدرات، بالإضافة إلى انهيار تدريجي للقيم الاجتماعية التقليدية التي ارتبطت بنمط (أو أنماط) إنتاج ما قبل رأسمالي تشكل فيه العلاقات الأسرية المتشابكة الدعامة الأساسية.

وشكلت الحركة الشبابية المهمشة في المغرب (Maghreb) القطرة التي أفاضت كأس التورات الاجتماعية بأن طبعها ببصمات العنف والتدمير لكل مظاهر الظلم والعسف. ورغم ما يطبع هذه الحركة من ارتباك على مستوى الوعي بضرورة الانتظام الديمقراطي في حركة جماهيرية كمدخل أساسي لتغيير مسببات التهميش والإقصاء من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فإن آفاق «استثمار» الاستعداد النضالي للحركة تبقى غامضة بالنسبة للقوى الديمقراطية التي فشلت في فتح أعينها على النصف الثاني من العملية الثورية المرتبط باستنباط دلالات التموجات الاجتماعية وباستخلاص النتائج الخلاصات الملائمة لمشروع بناء المجتمع المستقبلي الموعود. والقوة السياسية الوحيدة التي راهنت

إنما هو في مستوى العمل لتأصيل الحرية فيه .
وأستبق لأقول إن ما أقدمه هنا ليس بحثاً أو دراسة، وإنما هو
شهادة . وهي، اذ تنطلق من همّ ما، وتستند إلى خبرة ما،
شهادة من يتساءل ويحاول أن يثير الشك، لا شهادة من يحاول
أن يتقبل وأن ينقل اليقين .

2

أذكر أن الدخول إلى قاعة الدروس الفلسفية في الجامعة، كان
بالنسبة إليّ، نوعاً من الدخول في بيت أشباح . وكانت
النصوص التي ندرسها تبدو لي كمثّل جثث عائمة . وكان
عليّ، مع ذلك، أن أصغى بدقة إلى الأستاذ يملئها من دفتره
الخاص، لكي أتمكن من سماعه ومن نقلها بدقة - استعداداً
لدرسها - أعني لحفظها، وردّها إليه في الامتحان مكتوبة بلغته
هو، وصياغته هو، وآرائه هو .

كنت أدخل إلى القاعة وأخرج منها، كما لو أنني أدخل إلى
منفى، وأخرج منه . وكان الوقت الذي أمضيه، مصغياً ناقلاً،
يبدو كأنه خارج الوقت . وهذا الذي كنت أصغى إليه وأدوّنه
كان بمثابة عازل يفصل بيني وبين ما أعيشه يومياً - في حياتي
الأيّفة، ولم تكن له علاقة بهمومي الجسدية، أو مشكلاتي
الذهنية . كنت أتعلّم شيئاً لا يعلمني أي شيء . أملاً عقلي بما
لا أقدر أن أستخدمه عقلياً . كانت تلك النصوص الفلسفية
تشبه ركاباً من الرمل والخصي يتكوّم في رأسي إلى أن يحين
وقت الامتحان، حيث أفرغه على الورق، صارخاً بعد
الانتهاء، بفرح كبير: لقد زال العبء .

هكذا كنت أتعلّم الفلسفة على النقيض مما يرى كانط: لا تتعلّم
الفلسفة، وإنما تتعلم أن تفلسف . وأنا كنت أتعلّمها - أعني
أنني لم أكن ملزماً بحفظ الأفكار الفلسفية وحسب، وإنما
كنت ملزماً أيضاً بتردادها كما هي . لهذا لم تسهم في تكويني .
ولم أتعلّم منها كيف أفكر، أو كيف أتحور فكرياً . كنت عبارة
ثانية، أتعلّم الفلسفة داخل جدران الجامعة - لكن حياتي داخل
المجتمع لم تكن تتيح لي أن أتعلّل فلسفياً .
كثيراً ما قلت في ذات نفسي: لعل هذا أن يكون خطأي،



1

نشأت في مناخ تربوي يؤالف بين الشعر والفكر، عبر
التصوّف . وفي الجامعة درست الفلسفة، ثم بعد تخرّجي،
درستها في الكليات الثانوية، بضع سنوات . وفي الآداب
بالجامعة اللبنانية، درست بين المواد التي أسند إلى تدريسها، مادة
الفلسفة والأدب - في علاقاتهما المتبادلة، أساساً ودلالات . وقراءاتي،
في معظمها، تسير في أفق فكري - فلسفي .
أستبق، فأشير إلى هذا كله لأوضح أنني لست هنا بوصفي مدرّساً
للفلسفة، أو فيلسوفاً، بل بوصفي شاعراً يضع الدهشة إزاء العالم
وأشياءه وإزاء الإنسان - وجوداً ومصيراً، في قلب تجربته الشعرية .
ومن هذه الشرفة مهداً الهاجس، يعني كيّاناً بحركة الفكر والفلسفة في
المجتمع العربي، وبالأسئلة التي تفترضها هذه الحركة أو تختزنها .
ويعتقد إلى ذلك، أن العمل لتأصيل التساؤل الفلسفي في المجتمع



السؤال، وبأن الفلسفة هي أن تفكر متساثلا. فإن نفكر فلسفيا يعني، بعبارة ثانية، أن نعيد طرح المشكلات بحيث نعيد خلقها في أفق ما نجهله، ونعمل على استقصائه، إيغالا في الكشف عن المعاني الأولى لا للأشياء وحدها، وإنما للكلمات أيضا. ولست أشير هنا إلى الفلسفة بمفهومها الكلاسيكي الذي يزعم الشمول والكلية والقبض على الحقيقة، أو بوصفها منظومة معرفية كاملة ومتكاملة، وإنما أشير إليها بوصفها حركة من النقد والاستبصار: نقد للأسس الفكرية التي قام عليها المجتمع العربي، واستبصار فيها. هكذا لا أقصد أن أشير إلى عدم وجود فلاسفة عرب معاصرين بالمعنى الكلاسيكي أيضا: فلاسفة لهم نظراتهم الخاصة، الكلية، في الوجود وما وراءه، وفي الإنسان، ولكن منهم نظامه الإبيستيمولوجي، ومنظومته الاخلاقية. وإنما أشير إلى باحثين - مفكرين يعالجون القضايا التي كانت في أساس الفكر العربي والحركة العقلية العربية، وبحيث يعملون على خلق وعي عربي جديد، بالذات والطبيعة، وعلى تحرير الإنسان العربي جسداً وفكراً من المسبقات، وعلى تعميق الوعي بالتغير والضرورة.



لكن، ماذا يعني - في إطار خصوصية الفكر العربي، أن نطرح الأسئلة الأساسية؟ والجواب، بالنسبة إليّ، هو الخروج، بادئ بدء، من المسبق الذي يشكل النواة في بنية هذا الفكر، والذي يلغي أصلاً مثل هذه الأسئلة، لأنه يقدم الأجوبة النهائية. ويتمثل هذا المسبق في الطرق التي أرسيت لفهم النص الديني الذي هو قاعدة الفكر الأولى في المجتمع العربي - وهو يتجلى، استتباعاً، في مختلف أشكال الكتابة العربية، حتى في ما يفترض أن يكون نقيضاً للمسبقات كلها، ودائم الأولية - غنيت الآداب والفنون. ومن هنا أقول وهو قول لا يلزم أحداً غيري: لا أرى، شخصياً، في المجتمع العربي، اليوم، فكراً فلسفياً، أو فكراً أصيلاً متميزاً وخلاقاً، ويتعذر وجوده إذا لم يبدأ المفكر العربي بتفكيك المسبقات للخروج منها، مخضعاً إياها للسؤال المعرفي الذي تطرحه الذات المفكرة.

وأتجه إلى الآخرين، وبينهم من كنت زميلاً لهم، لكي أهتدي بهم. بينهم من يمارس التعقل الفلسفي، لكن لم يكن يمارسه على مشكلاتنا الحية، وبينها بالنسبة إليّ، تمثيلاً لا حصراً، مسألة البنية الفكرية الدينية. لهذا كان تعقلهم خارج المتن الفلسفي العربي. وكان بينهم من يدور حول هذا المتن، لكن فكرهم كان نوعاً من التفقه في الأجوبة التي تركها السلف، ولم يكن طراحاً جديداً للأسئلة - مما يقتضيه، بدئياً، الفكر الفلسفي. لم يكونوا يمارسون حقهم في قراءة البنية الدينية بشكل جدي يتجاوز قراءات السلف، ويقدم أجوبة أخرى. واليوم، إذ أقارن بين الانقلاب المعرفي الشامل في العالم، والمعرفة الفلسفية العربية، وألاحظ أن مفكرينا لم يطرحوا سؤالاً أساسياً واحداً حول القيمة المعرفية للنظرة الفقهية إلى النص الديني، مثلاً، أو للنظرة الفلسفية، ولما ينتج عن ذلك أو يتضمنه في كل ما يتعلق بمفهومات الطبيعة وما وراءها، بالإنسان والقيم، وبالمعرفة نفسها، - أقول إذ أقوم اليوم بمثل هذه المقارنة، أدرك على نحو فاجع مدى الفراغ العربي، في الميدان الفكري - الفلسفي، لا بالنسبة إلى الآخر غير العربي وحسب، بل أيضاً بالنسبة إلى التراث العربي نفسه، وداخل هذا التراث. وذلك مما يتيح لي أن أقرن بين تعلم الفلسفة في ماضي وتعلمها في الحاضر، وأن أقول كنا نتعلم الفلسفة ولا نزال لكي نكون ولكي نعيش، ويا للمفارقة، ضد الفلسفة - لكي نبقي، بعبارة ثانية، عقلاً مدجناً، راضياً، مطمئناً، ولكي نظل فكراً وفلسفياً، التجسيد الحي لهذا الذي سمّاه الغزالي: التهافت.



إنني أنضم إلى من يقولون بأن الفكر الفلسفي بنهض على

التأسيس كأنه مساس بنص الوحي ذاته . ولا تزال القراءات التي تخالف منظورات هذا التأسيس تُعدُّ خروجاً حتى في ميدان الآداب والفنون . ويحفل الماضي والحاضر بأثلة كثيرة على ذلك نعرفها جميعاً . وهذا مما يسمح لنا بالقول إن الثقافة العربية السائدة ، على مستوى الوعي الشعبي العام ، ومؤسساته الاجتماعية والسياسية والتربوية-التعليمية ، تقرر على اليقين بأن النص الثاني هو وحده الذي أدرك المعنى الأخير الكامن في النص الأول . وهو وحده الذي يفهم ، تبعاً لذلك ، الماضي وأصوله - دينا وفكراً وأدباً وفناً . وفي هذا ما قد يوضح لنا السلطة الأسرة التي يمارسها ما نسميه بالتراث على العقول والنفوس في العصر الحاضر ، بحيث يكاد هذا الماضي أن يعزل بعيداً عن السؤال والوعي ، وأن يحول الوما يشبه قيدها هائلاً ، يلتفت على جسد الحاضر . بل أن الخلف الذي يهيمن اليوم ينظر إلى نفسه كأنه الوارث وإلى سلفه كأنه المورث ، ويفصح عن نفسه بوصفه يملك معنى النص الأول ، كما رآه السلف ، وبما أن هذا المعنى هو ، في رأيه ، المعنى كله ، وليس واحداً من معان كثيرة محتملة ، فإن هذا الخلف ينفي إمكان قراءة النص الأول بشكل يغيّر القراءات التي تجسدت في ما سميناه بالنص الثاني ، ويفرض الالتزام به . وبما أنه هو وحده الحقيقي الصائب ، كما يؤمن بوصفه وارثاً ، فإن الخروج عليه إلى معنى مختلف سيكون انحرافاً وضلالاً . هكذا نرى أن الخارجين لا يناقشون فكراً - وإنما « يقتلون » ، بشكل أو آخر : أقول « يقتلون » متابعة لقول أمري القيس : « وجرح اللسان كجرح اليد » : فهم دينياً كفره وزنادقة ، ملحدون ومارقون ، وهم سياسياً ، عملاء وتابعون ، وهم ثقافياً ، هدامون وشعوبيون .

لكن أن يحصر النص الأول في المعنى الذي أضفاه عليه النص الثاني ، وأن تبطل القراءات المغايرة ، أفلا يكون ذلك تقييداً للنص الأول ، قبل أن يكون تقييداً للعقل ؟ وإذا عرفنا أن النص الأول هو بطبيعته ذاتها ، مفتوح ولا نهائي ، ومناقض مناقضة جلية للايديولوجية ، بوصفه كلام الله ، أفلا يعني حصره هذا تحويله هو نفسه إلى نص إيديولوجي ، مغلق ؟ أو ليس بسبب من ذلك ، أن العربي يعيش اليوم في عالم من المعنى غير التاريخي ، المعنى الذي ارتبط بأحداث زالت ، ليوافقه به أحداثاً قائمة مختلفة في الزمان والمكان ، وفي الأسباب والغايات ؟

أبدأ بتحديد ما سمّيته بالمسبقات ، منعا لكل التباس . من أجل ذلك ، أسمى الوحي ، أي النص الديني نصاً أول ، وأسمى قراءاته الماضية أي شروحه وتفسيره ، وبخاصة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ، نصاً ثانياً . ونعرف جميعاً أن هذا النص الثاني بتنوعاته كلها ، ولد ونما في أحضان صراع على السلطة ، كانت الحرب الدموية بين الأطراف طابعه الغالب . هكذا تأسس الفكر العربي - الإسلامي في أفق إيديولوجي ، وانصف بدنياً بخصائص الفكر الإيديولوجي . ومن هنا كان فكراً جدالياً تهمة الوظيفية والفعالية أكثر مما يهمة البحث الخالص عن الحقيقة . ومن هنا أيضاً كان فكراً يتنافى ، أي ينفي بعضه بعضاً ، أكثر مما كان فكراً يتفاعل ويتكامل ويعتمد بعضه على بعض ، في السير نحو المعرفة الأكثر صحة . من هنا أيضاً كان الفكر الذي يسود المجتمع ، بوصفه الفكر الصحيح الذي يحمل المعرفة الصحيحة ، هو فكر الطبقة أو الفئة التي تسود سياسياً ، وكانت سلطة النص قائمة على سلطة السياسة ، بحيث أصبح نص السلطة هو نفسه نص المجتمع .

وبقدر ما كان الصراع يعنف ، كان النص الثاني يحجب النص الأول ويحل محله ، وتبعاً لذلك ، كانت معايير الخطأ والصواب تلتصق في مدى التمسك بالنص الثاني - بوصفه المرجعية الأكثر صدقاً وحقيقة في فهم النص الأول وتفسيره . ويمكن التأريخ لحركة الفكر العربي في هذه الفترة المشار إليها ، من منظور الرواية والعنونة والمرجعية والأسبقية ، مما يرينا أن هذه الحركة كانت في الدرجة الأولى حماساً - دفاعاً وتسوغاً ، وأنها كانت بمعنى ما ، ثقافة مما قبل نزول الوحي - أي ثقافة مدح ، هجاء .

ينبغي أن أضيف ، لمزيد من التوضيح ، أن السلف أصحاب النص الثاني لم يكتفوا بقراءة النص الأول بوصفه نصاً دينياً محضاً ، وإنما قرأوه بوصفه أيضاً ، فكراً وأدباً وفناً وسياسة ، وأسسوا هذه القراءة اجتماعياً وسياسياً ، بحيث أصبح المساس بهذا التأسيس كأنه مساس بنص الوحي هذه القراءة اجتماعياً وسياسياً ، بحيث أصبح المساس بهذا التأسيس كأنه مساس بنص الوحي ذاته . ولا تزال القراءات التي تخالف منظورات هذا



والحق أن التأمل في حركة الفكر العربي، من منظور إبداعي، يكشف عن أنها كمثال سطح هادئ، على الرغم من الهزات التي تخضع وجودنا كله، وعن أن الفكر العربي يُمارس بسهولة ويُسر كأنما الأجوبة كلها تنتزه في جعبة أصحابه، ويوضح من ثم أن الحاجة إلى العقل اليوم إنما هي لغرض واحد: أن يعقل، بالمعنى الأصلي للعبارة - أي أن يكبح ويلجم. لكن، ألا يبدو، في ضوء هذا كله، وعلى نحو تناقضي، أن هذا المعنى المسبق لم يعد هو نفسه يدل على شيء، وأنه أصبح نوعاً من التوهم، وأنه هو أيضاً فقد معناه؟

هذا المعنى هو ما أسميه بالمُسبَّق.

7

يقدر العربي اليوم أن يعترف قائلاً: ليس ذاتي شيء مني. كل ما في يجيء من خارج: خارج داخل لغتي، وخارج لغتي. كل ما يتوجب عليّ هو أن أكون إناء يملأ. ولا أملك بما يزعم تعليمي التذوق والتقويم والتفكير وحسب، بل بما يزعم تعليمي أيضاً كيف أحب وأحلم. كأنني طينة في يد هذا الخارج، وكأنني ملك له. أما الخارج داخل لغتي، عنيت المسبق، فإنه يمتلك سلطة المعنى، وهي سلطة غير محدودة وهو يؤسسها في سلطة ثانية لحماية هذا المعنى والدفاع عنه. وتنقلت هذه السلطة الثانية إلى سلطة غير محدودة هي أيضاً، وذلك بفعل العنف الذي يتولد عن الصراع الإيديولوجي - السلطوي، وتصبح عملياً، سيّدة المعنى - والقوة غير المحدودة لمحاربة المعاني المخالفة، أو ما تسميه اللامعني. هذا التمثيل الخفي بين وارث المعنى المسبق والسلطة، هو بمثابة مؤسسة غير مرئية، لكنها كلية القدرة والفعالية. ذلك أن هذا اللامرئي هو الذي يهيمن على المرئي، وهو الذي يخلق لكل عقل عقالة، ولكل حركة نفسية أو جسدية، الحدود التي لا تقدر أولاً تجرؤ أن تتخطاها. وفي هذا ما يوضح كيف تنشأ في هذه المؤسسة اللامرئية سلطة رمزية من المبادئ والقواعد، من الأفكار والتصورات، ومن الصور والرموز. وهي التي توجه علاقة اللغة بالعالم، والكلمات بالأشياء، وهي تقودها. ويتحول هذا اللامرئي - الوسيط إلى ضامن سلطوي للمعنى المسبق.

6

وفقاً لرؤية هذا الخلف، يبدو النص الثاني مطلقاً كمثال النص الأول. ويبدو أن الفكر ليس إلا استعادة لمعنى النص الثاني، استعادة شيء يُمتدح، أي شيء لا بد من ذم الأشياء التي تخالفه. بل يبدو أن المسألة ليست مسألة فكر وتفكير، بل مسألة اتباع وإيمان. ذلك أن إغلاق باب المعنى هو إغلاق للفكر. كأنما فكر عن الإنسان، وفكر له، مرة واحدة إلى الأبد. هكذا حين يفكر العربي لا يكون تفكيره إفصاحاً عما في ذاته، وإنما يكون ترجمة لغيره - يلهو بأفكار ليست منه، تماماً كما يلهو بأدوات عيش لم يبتكرها ولم يصنعها، وتكمن عبقريته كلها في استهلاكها، أو لنقل - لكي لا نخرج غروره، في الاستمتاع بها. إنه يعيش، ويا للمفارقة، في حياة مفتوحة، وفي عقل مغلق. ووفقاً لرؤية هذا الخلف، يُعرف حكماً وبالضرورة أين يمضي التاريخ هكذا لن يكون للحدث مهما كان أي فعل يغير المعنى. مهما تهدم المجتمع، أو تقلب، ومهما اضطّر الحاضر، فلن يتغير من مستقبل التاريخ المرسوم بحسب المعنى المسبق، أي شيء. ولن يكون السير على القمر إلا نوعاً آخر من السير على سطح جبل ما. ووفقاً لرؤية هذا الخلف، تبدو جميع المشكلات محلولة: الأصل والماهية، العلّة والحدث، الوجود والمصير، بالإضافة إلى المشكلات الاجتماعية كلها، ويبدو أننا لا نحتاج إلى طرح أي سؤال، حول هذا كله.

مخاطبا أصغى إليه، هي مع نصّه مباشرة، ودون وسيط؟ ولهذا فإن ما أقوله في صده، سلبا أو إيجابيا يلزماني أمامه، وليس أمام وسيط أو أي مرجع آخر. وفي علاقتي هذه، لا تكون المعرفة تلقنا، وإنما تكون استقصاء بلا نهاية لنصّ بلا نهاية.

لقد شاء الله، وعلى كل فرد أن يتقرى هذه المشيئة. قال، وترك لكل فرد أن يستبصر في ما قاله. وليست هناك، ولا يمكن أن تكون هناك قراءة أخيرة ونهائية لما قاله، لأن مثل هذه القراءة تُنهي قوله ذاته، من حيث أنها تستنفذه، وتحدّ دلالاته، وتؤطره. إن كلام الله لا يتناهى، وقراءة دلالاته هي، إذن، لا تتناهى.

إن النصّ الديني ينبوع مفتوح أمام الجميع، لا يملكه أحد، لا يستثمره أحد، ولا سلطان لأحد عليه. وعلاقة الفرد به ليست علاقة مع حارس ما، أو وصي ما، وإنما هي علاقة مباشرة مع الينبوع ذاته، دون أية وساطة.



حين أقرأ في ضوء ما تقدم النتاج الفلسفي العربي الراهن أو النتاج الفكري النقدي، أتساءل بشيء من الدهشة: ماذا يقول هذا النتاج -ضمن إشكاليات الفكر العربي وخصوصيتها؟ وأجيب بدهشة أيضا: تقريبا لا شيء. فبعض هذا النتاج وصفي يكتفي بإعادة إنتاج المنتج، لكن أحيانا بمهجة مستفادة من ثقافات الآخر. وبعضه، هو الغالب، تعريب وثقافة. لكنه في الحالين يتحاشى المشكل الرئيسي: البنية الدينية والمعنى المسبق - حيث تكمن أسس الثقافة في المجتمع العربي، وتكمن الأخلاق والقيم، وتكمن النظرة إلى الإنسان والحياة والكون. وفي ظني أنه لا بد للفكر العربي، فلسفة أو نقدا، إذا أراد أن يتأسس أولا، وأن يكون من ثم جديدا - لا بد له من أن يبدأ بتفكيك البنية الدينية، ونقد المسبق: لا بد من أن يبدأ بتحرير النص الأول من مسبقات النص الثاني.

خصوصا أن الإنسان العربي اليوم غارق تحت الانقاص من كل نوع، يفكر وليس هاجسه البحث، بل النتيجة. يفكر لكي يرى

هكذا يكون للعربي أن يتابع اعترافه قائلا: إنني موجود بغيري لا بذاتي. موجود في أنا يتعذر تمييزها عن النحن: الشكل الآخر للمؤسسة غير المرئية - الرمزية، لكن التي تمارس سلطات واقعية. ولا أعود أفكر بعقلي الخاص، بل بالعقل الذي يرسمه هذا الخارج داخل لغتي. فهذا الخارج هو معاً لغتي وواقعي، وأفعي.

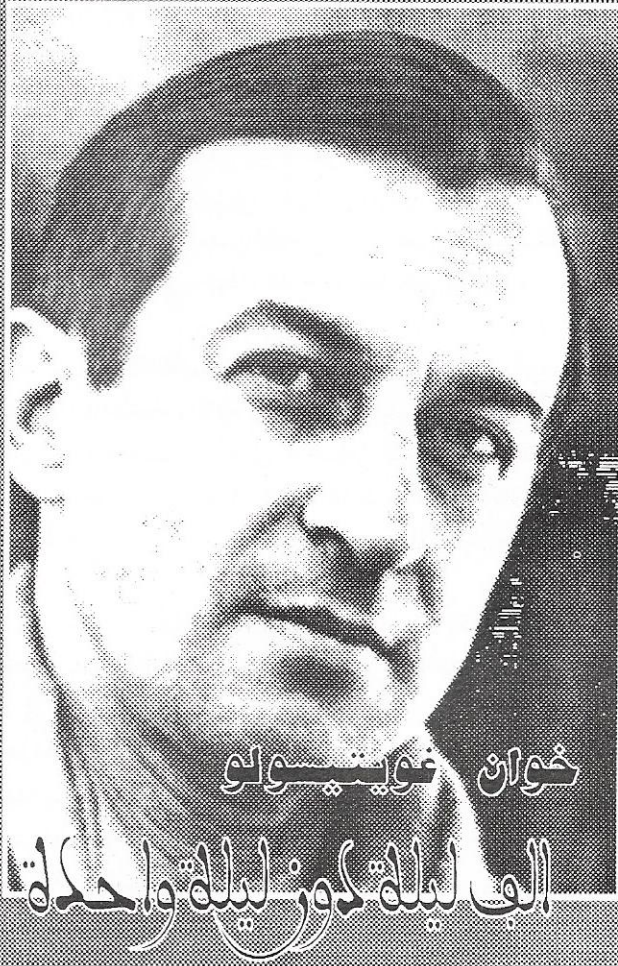
وسوف يتابع قائلا: كأن هذا المعنى المسبق يفرض علي أن أقول في السنة 1987 الأشياء والأفكار نفسها التي قبلت في السنة 687، وأن أرى الرؤية نفسها، وأحس الإحساس نفسه. وكأن هذين التارخين واحد لا فرق بينهما. لا في الحدث، ولا في المكان، ولا في الزمن. وكأن هذه المسافة الزمنية ليست إلا خطأ أو توهما أو كذبا.

أفلا يعني ذلك أن التزامي بالمعنى المسبق يفرض أن يكون فكري استعادة دائمة له؟ لكن، حين لا يكون فكري إلا استعادة، لا أكون إلا آلة، لا يكون لي حضور بوصفي ذاتا تفكر وتفصح عن فكرها الخاص بكلامها الخاص، بل لا يكون لي حضور اللغة نفسها - بوصفي مفصحا عن ذاتي.

وقد يتساءل مواصلا اعترافه: هل أسس المعنى المسبق على تغييب المعاني كلها - ماضيا وحاضرا ومستقبلا؟ أفلم يضعني إذن هذا المعنى في حالة دائمة من الهرب: الهرب من نفسي، والهرب من الواقع، والهرب من التاريخ؟ ألن أكون كمثال ضحية تذبذب في فراغ بلا حد، مقدمة لفراغ بلا حد؟ وقد يقول: حسنا. في النصّ الديني كل معرفة، وهو صالح للحاضر والمستقبل، كما كان صالحا للماضي. لكن السؤال هنا، هو: لماذا أُنحصر معرفة هذه المعرفة في السلف ونصّهم؟ ألا تعني صلاحية النصّ الديني للحاضر تحريره من إطار معرفته الماضية؟ وصلاحيته لمستقبل تحريره من معرفته الحاضرة؟ أليس الوحي كلاً، ويُخاطب كلاً بمفرده؟ هل حصر فهمه الأكثر صحةً بجماعة دون أخرى، أو بعصر دون آخر، أو بفرد دون آخر؟ أهنالك وحي بمرجعية أخيرة غير نصّ الوحي ذاته؟ لماذا إذن تُمارس تلك المؤسسة اللامرئية حق السّلطة المطلقة في فهمه وتلقيه، وتحصرها في النص الثاني؟ باسم من، ومن أين لها هذا الحق؟

أليست علاقتي بوصفي فرداً مخلوقاً على صورة الله، وبوصفي





جواباً، لا لكي يطرح مزيداً من الأسئلة. يفكر وقد احتاط،
واطمأن إلى أنه لن يجابه أي خطر. لكن هناك حقيقة بلا خطر؟
أهناك سير نحو الحقيقة، دون نوع من الحيلة. والفكر، فلسفة
ونقداً، هجوم لا حيلة.
والحق أن هذا البنتاج يستخدم العقل لا لكي يكشف، بل لكي
يغطي ولا لكي يفتح، بل لكي يغلق، ولا لكي يزداد إطمئناناً.
وحين نسأل: ما المعرفة العربية التي يبدعها العرب اليوم؟
فسيكون الجواب أنها ليست فلسفية أو نقدية، وليست بطبيعة
الحال علمية، وأنها بالأحرى فقهية: تراكم تنوع على ما سميت
بالنص الثاني. لكن سيكون الجواب أيضاً أن في هذه المعرفة
هامش هو اليوم المتن الإبداعي العربي - غيت الأدب والفنون،
وبخاصة الشعر. وهنا نجد حقاً خصوصية عربية، ونجد إنجازات
عالية تضاهي مثيلاتها في مختلف بلدان العالم، إن لم تفقها.
في أساس هذه الإنجازات إعادة اكتشاف الأصول، تساؤلاً -
حيث حررت الكتابة الإبداعية من المعنى المسبق ومن المسبقات
كلها.

وهذا ما ينبغي أن يقتدي به الفكر العربي المعاصر.
استمرار المعنى المسبق انغلاق على الذات، فاستمرار في الاجترار
والتكرار.

هل نقدر أن نخرج من هذا الانغلاق الذي أسس له النص
الثاني، وأن نتفتح على معان أخرى، ونبتكر لها آفاقاً أخرى؟
تلك هي مسألة الفكر في المجتمع العربي، ومسألة الفلسفة. دون
ذلك سنستمر في تعلم الفلسفة وفي تعليمها، لكن لغاية واحدة:
أن نكون ضد الفلسفة. □

باريس، 2 تموز (يوليو) 1987

من شرق منزلك، حيث تستغل
الصباحات الشفيفة للقراءة تحت ضوء
الشمس، يمكنك رؤية أسوار المشور
المغراء، وتخيل الحديقة العمومية
وريتونها، وخواص جبال الأطلس
المغطاة بثلج لامع، كما يمكنك أن ترى،
قريباً منك، في الباحة المنبسطة داخل
المكان المسور الذي كان السلاطين، في
القديم، يتلقون فيه مطالب الرعايا
وشكاواهم، حياة البستان الضامرة
المتوارية عن كل الأنظار، لكن ليس عن
نظرك، بالسياجات وأجمات



الزهور التي يوليتها عنايته نظريا، والذي كان، وهو مقع لا يتململ، يدخن بسلام سبسيا من الكيف. لقد كان حضوره الخفي، والمصون بعذوبة مخبئه الطبيعي، يتكامل مع بقية اللوحة في انسجام ويضيف لمسة سكية إلى الهدوء الشتوي الذي تنسده. بين الحين والآخر، وفيما ينصرف اهتمامك (عن القراءة) بفعل دوي صفارة تخفر موظفا كبيرا جاء لتقديم تحياته، كنت تنظر على نحو غريزي صوب المكان الذي يضطجع فيه الفتى فتكشفه، وفي يده المشذب والمعرق، منهمكا في عمله العابر والخادع بينما السيارات تخترق الساحة في شكل عمود لتختفي تحت أقواس المشور وهي تحمل الصفوة من رجال الملكة. هكذا يتشكل التواطؤ الصامت الذي يشدك إليه في كل مرة توقفت عن القراءة: فدقائق بعد هذا الإنقطاع الصائت، حينما ترفع عينيك كرة أخرى قبل الغوص مجددا في كتابك، كنت تلمحه، وقد ألقى صحبة سبسية، نائيا، إن لم يكن جد ناء عن همهمة العالم. وتمكن الفتى، من جهته، أن يدرك أنكما شريكان في التواطؤ، وأن انصرافه الساذج أصبح سلوكا معروفا ومثمنا من طرف ذلك الأجنبي الذي يقرأ في شرفته وسط عذوبة الصباح: كنتما تتبادلان نظرات خاطفة، قد فصل بينكما الصهرج الذي ترتفع منه أصوات جوقة الضفادع المزعجة، ثم تعودان إلى أحلام يقطتكما، وقد تعزيتما بالتعرف الصامت على هذه القرابة.

أخبرك حارس المنزل الذي تقيم فيه بأن اسمه (بوجمعة)، وأنه قدم من البادية قبل بضعة شهور، ولا يعرف له أقارب في المدينة ولا أصدقاء. ومع أنه كان فقير الملبس والمنعل، ويغطي رأسه بطاقيّة من الصوف تسبغ عليه حياة عفريت، إلا أنه كان يبدو راضيا بهذه المهنة المضمونة، السهلة، والضعيفة الأجر. كان الكيف سلواه الوحيدة، فكان يدخن بتؤدة قبل

وبعد أن يفتح القمع الورقي المعبأ بالفول السوداني أو حبات القرع التي تشكل طعامه الهزيل، حينما يكون قد أدى الصلوات المفروضة، ملبيا نداء المؤذنين المتعدد الأصوات، ومتوجها صوب المسجد وهو جاث على ركبته.

ذات صباح لم تبصره عينك، ثابت، وأنت صابر، على فحص الرياض وأجمات الزهور المحاذية للقصر فلم تعثر عليه في أي مكان. بيد أن انشغالك بغيبابه لم يكد يدوم سحابة يوم. فعندما كنت تتناول عشاءك، أخبرك الحارس بالخبر وهو مسرور سرورا لا يخلو من غيرة: لقد تزوج (بوجمعة)!

متى؟ كيف؟ وقبل كل شيء: بمن؟ لقد قرر أمير شهم ينتمي إلى الأسرة الحاكمة، لدى ميلاد أحد أبنائه أو زفافهم أو بمناسبة عيد من أعيادهم، أن يزوج ويمهر أكثر رعاياه وفاء، جزاء لهم على خدماتهم.

وما علاقة (بوجمعة) بكل هذا؟ تنفيذاً لأوامر الشريف، انطلق أفراد من الحاشية للبحث في ضواحي القصر، فجاءوا إلى غاية (بوجمعة). أما كيف تم لهم ذلك فأمر ما يزال بحاجة إلى تمحيص.

من قص عليه هذه القصة المتعذرة. التصديق؟

متعذرة التصديق؟ بل هي حقيقية. فقد رآه بأم عينيه: رأى (بوجمعة) محمولا في سيارة سوداء، طويلة وصامتة مثل تمساح، تتوجه إلى الخياط والحلاق! وعندما زينوه وزوقوه فقد كان عليهم الذهاب إلى قريته بحثا عن عائلته. العروس...

سوف لن يتعرف عليها إلا أثناء الحفل. من يدري، قد تكون جميلة... وإذا لم تكن؟ قال الحارس: ذاك أسوأ. لكن لو أنه أصبح أحد خدام الشريف، فلن يعدم الفرص التي...

نمت وقد ارتاح ضميري. فهذا هو (بوجمعة) غدا نظيفا، حسن الهندام،

يحرصه الخفر في «الروزل» إلى القصر، فيزف في ضجة صاحبة إلى خادمة شريف كريم. أليس هذا هو الحلم الذي كان يداعبه سرا في سكون مخبئه، عندما يستل من جوربه السبسي، ويوقد موقد الغليون دون عجلة.

استهللت قراءاتي في الشرفة، لا تقطعها إلا توقفات أفحص خلالها الهياة الجانبية للجبال المكلفة بالثلوج، وذوآبات النخيل الرشيق، وأسوار المشور المسننة. وكان المستخدمون- في حدائق الباحة الخارجية للقصر التي اضطربت بالحركة بسبب الحضور المتعدد الألوان لقلانس الخفر والحراس -يقومون برش الأجمات المزهرة بالماء أو يقصون سياجات «التويا» بمقاريضهم. وبعد بضع ساعات من التشرد في تعاريج النص، رفعت رأسي مدفوعا بحدس غامض. ونظرت نحو المكان الذي يختفي فيه عادة شريكي في التواطؤ: فكان (بوجمعة) هناك.

هرعت إلى الحارس. لماذا عمد إلى خداعي؟ وماذا يصنع الفتى في الحديقة بجلبابه الخلق وطاقيته الصوفية المصومعة؟ أما كان عليه أن يكون الساعة بجانب عروسه، مستمتعا بهذه الهدية العجيبة التي هي زواج مدفوع المصاريف؟

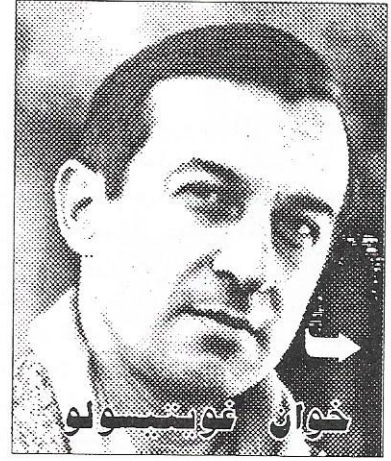
رواية (بوجمعة): كانت طبخة الشريف، التي تبحث عن زوج لها، عجوزا شمطاء نيفت على السبعين، فزوّق وجهها بالمساحيق لإخفاء بشرتها وتجاعيدها، بيد أنه تمكن من اختلاس النظر إليها، رغم جريان الحفل في ضوء خافت شبيه بالعمقة، فعدل عن الاقتران بها. تصور أن تجعل لك زوجة امرأة درء، وضعت منذ مدة إحدى قدميها في القبر؛ كان الأمر أشبه بزواج المراء من جدته! عند ذاك مضى إلى حال سبيله دون أن يطلب حسابا، ورد إلى الشريف كل هداياه.

علق الحارس في حياة ساخرة، وكان قد قام بجولة في الحي لجمع روايات أخرى



يحاول هذا الريبورتاج تقديم صورة تقريبية لبعض المعتقدات والطقوس الماقبل اسلامية في الثقافة الشعبية المغربية، وهو لا يهتم في ذلك إلا بما يرتبط بهذه المعتقدات من طقوس تهم قراءة الغيب و "التطبيب النفسي" بواسطة صرع الجن مستبعدا في ذلك كل ما يرتبط بالطب الشعبي الذي يخضع لتصنيف مختلف. ولعل ما يثير في تصريحات بعض المستجوبين، ذلك الإقناع الراسخ بالسحر كقوة تتحكم فيها كائنات لا مرئية يملك السحرة سلطة تسخيرها سواء لتحقيق المنفعة أو لألحاق الضرر. إنه اقتراب سريع من عالم يشكل لحمه الثقافة الشعبية في المغرب، يتعايش في تساوق احيانا وفي تقاطع احيانا أخرى مع عناصر "التحديث" دون ان تنال منه شيئا...

حول الطقوس والمعتقدات السحرية بالمغرب



للحدث: في الواقع، لم تجر الأمور على نحو ما حكى (بوجمعة). فالمرأة هي التي بادرت إلى رفضه. لقد غنر لها على ثلاثة خطاب كي تصطفي من بينهم واحدا، فوق اختيارها على غيره. وليس حكاية العجوز والفم الأورد إلا ابتكارا من ابتكارات (بوجمعة)، الهدف منه إخفاء كرامته الجريئة وصون كبريائه.

كنت ثراه مجددا، عند المخبأ الذي ينقطع فيه طويلا عن عمله المتعب كل يوم، وهو يرتدي جلبابه الخلق ويعتم بطاقيته التي تشبه طاقيّة عفريت، مدخنا، مهذبا، يؤدي عباداته، فيبدو كل ما مضى وكأنه لم يكن سوى حلم: العروس، والهدايا، و«الرولز» وزيارة الخياط والحلاق، والفشل في الاقتران داخل القصر. تتبادلان النظر متواطئين في صمت، فيخرج، كعهده من قبل، السبسي من جوره، ويستنشق بضعة أنفاس من الكيف ثم يمضي محلقا فوق بساطه، سعيدا وخفيفا. وحسب ما بلغ إلى علم حارس منزل، فإن كسوة الزفاف أصبحت ملكا ل(بوجمعة) ولأن هذا كان يثق في حسن الطالع، فقد احتفظ بها مطوية بعناية، إلى أن تحين فرصة أفضل. □

ترجمة: إبراهيم الخشب

المشهد الأول:

أعطيني أربعمائة درهم وأجعل خاتماً في أصبعك!

دخلنا غرفة نوم «الشوافة» والتي تعد في نفس الوقت مكاناً لممارسة المهنة، غرفة جرداء، فراش قديم تقرفص بالقرب منه امرأة متوسطة العمر بيضاء البشرة تشي ملامحها بجمال أخاذ، بالقرب منها وابور غاز صغير يشتعل تحت قدر تحوي رصاصاً ذائباً.

أمرتني «الشريفة» بالجلوس على اللحاف المقابل، ثم حملت القدر وصبت الرصاص في أنية مملوءة بالماء البارد وأمرتني برفع ثيابي والوقوف فوق الأنية بحيث يصبح فخذي عرضة للبخار المتصاعد بعدها حملت القطعة المعدنية التي انقلعت من حالتها السائلة إلى قطعة صلبة بتجاويف ومنعرجات تشكيلية خاصة وبدأت تنظر إليها وتقرأ طالعها، و«تجلي همي ومصدر تعاستي». وقبل أن تبادرنني بأسئلتها بادرتها بسؤال محاولة مني لاستلطافها وجمع ما تمن علي به من معلومات:

— هل تمارسين هذه المهنة منذ مدة طويلة؟

— منذ كان عمري ستة عشر سنة (تتجاوز الخمسين)، وقد بنت معروفة لدرجة أصبح لي زبناء من فرنسا وبلدان

إحدى جاراتنا معروفة باستحضار الأرواح وصرع من سكنهم «المسلمون» وقد ذاع صيتها لدرجة أصبح يأتيها الناس من كل فج عميق، منهم المهاجرون بفرنسا، ومنهم الخليجيون والليبيون... الخ وهي تنظم حفلات الجذبة مرة في الأسبوع وتفتح بيتها لكل الناس، ويتكفل المريض بتغطية مصاريق «الليلة». فعليه أن يشتري خروفاً أو تيساً أو عجلًا أو بقرة، حسب ما تطلبه «الشريفة»، تاهيك عن الهدايا والسكر واللوز والزيت والحليب وما شاكل ذلك، كل هذه الهدايا علاوة على الأضحية يودعها المريض حافلة «هوندا» ويذهب بها إلى المسجد المجاور ثم يعود مصحوباً بفرقة «كناوة» التي تشرع في العزف والناس خلفها يرقصون، تماماً كما تكون هدية الطفل المختون، وعندما يقتربون من بيت «الشوافة» تخرج هذه الأخيرة إليهم لترقص معهم في الرقاق، ثم يدخل الجميع بيتها لاستئناف الحفل كما لو كان عرساً، وهي تستدعي لذلك معارفها من الرباط وسلا ومن الحي الذي تقطنه وتترك باب بيتها مفتوحاً في وجه الجميع، وعندما يستقر الجمع تشرع في تغيير ثيابها، تلبس الأبيض وتطلب من الفرقة عزف «الدقة العيساوية» ثم تلبس الأخضر وتطلب الدقة الحموشية، ثم الأحمر ودقة للاعاشة، وهكذا دواليك، وفي النهاية تلبس ثياباً ممزقة «كالهداوي» وتحمل قفة قديمة بها قطع خبز صغيرة وتوزعها بين الحضور وهي تردد «خذ من سيدي البوهالي» والناس يجودون بما لديهم من نقود مقابل قطع الخبز. بعد ذلك تقوم بذبح الأضحية / القربان، ثم تشرع في الرقص في بركة الدم وترش المريض وتسحبه ليرقص معها في الدم، وعندما تسترجع هدوءها تأخذ قصعة كبيرة مليئة بقطع الزجاج المسن وتبدأ بفعله كما يفعل الكسكس، ثم تتوجه إلى المريض مخاطبة الجن الذي يسكنه، هي تسال والمريض يجيب والفرقة تعزف إلى أن يتشنج المريض وتضيق نوبة هستيرية يخر بعدها مغماً عليه.

يبدو أن المرأة مقتنعة بما تفعل، فهي تحاول حل مشاكل أبنائها أيضاً بنفس الأسلوب. فبعدما فسح ابنها خطوبته لإحدى الفتيات وهجرها بصفة نهائية «استحضرت» «أهل المكان» وأخبرته أنهم قرروا أن يلحقوا به الضرر إذا لم يعد إلى فتاته، وهكذا أرغمتها على خطبتها من جديد، وعندما طلقت ابنتها، ورفض الزوج تسليمها ورقة الطلاق، أخبرتها أن عليها إقامة «الليلة» لاستحضار الجن لينتقموا منه ويحلوا مشكلتها، وطبعاً فالابنة مطالبة بأن تتحمل جميع المصاريف. لديها زبناء كثيرون، عليك لكي تقابليها أن تأخذي موعداً، وقد تنتظرين عشرات الأيام قبل أن يصل دورك، وجل زبنائها أثرياء، إذ تصطف أمام بيتها سيارات فاخرة من نوع B.M.W ومرسدس وغيرها، ومنهم خريجو الجامعات من مغاربة وعرب. أذكر في فترة سابقة كان يتردد عليها لبيون يملكون «سوبرماركت» كبير بالرباط كما كانت تتردد عليها زوجة صاحب فندق فخم بنفس المدينة.

بالنسبة لمداخيلها لا املك فكرة محددة. غير أنني أعرف أنها تمكنت من بناء بيتها الكبير في ظرف سنتين، وأرجح أنها بنته بفضل مداخيلها، ذلك أن زوجها لا يملك شيئاً، فهو جندي متقاعد وهي التي تتكفل بأبنائها واحفادها الذين يقيمون جميعاً عندها، غير أنني أتصور أن لها مداخيل أخرى، وربما كانت أسرتها تتاجر في الحشيش، فقد اعتقل أخوها المقيم عندها بهذه التهمة، وقضى بالسجن ثلاثة أشهر قبل أن يتم إطلاق سراحه. وهي تدعي أنها امتلكت القدرة على التواصل مع الأرواح بفضل شرطي تشاجرت معه ذات يوم فضربها إلى أن لزمّت الفراش وهناك حضرت الأرواح لمؤازرتها ومن يومها وهي تقيم «حضرتها» الصاخبة.

حكاية

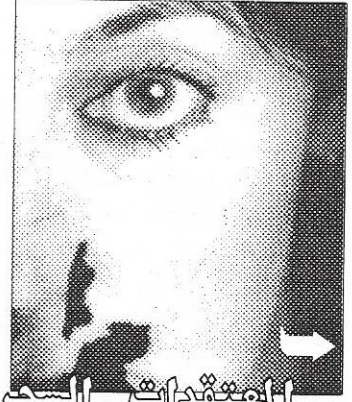
حي شعبي
مترب في
ضواحي

سلا، بيت صغير لم يكتمل بناؤه بعد يتوسط ساحة مغبرة. طرقت الباب الحديدي عدة طرقات قبل أن تطل فتاة في مقبيل العمر وتسالنا عن حاجتنا.

قالت رابحة (وهي زوجة زميل صاحبتي لمعرفتها بالحي وبأسرار أهله) -الشريفة موجودة؟

ردت الفتاة:

— هل جئتما لقراءة الطالع؟ تفضلاً. ستفرغ لكما بعد قليل. فتحت الباب على مصراعيه، قابلنا درج حجري كشف طلاؤه وبرز اسمنته المسنن، عرجنا على ممر صغير، ثم لدنا ردهة وضع في صدرها لحاف قديم جلسنا عليه بانتظار أن تنتهي «الشريفة» من قراءة طالع إحدى زبوناتنا. وصل دورنا،



السموات السحرية

عربية أخرى (٩) غير أن أغلب زبنائي من المغرب، موظفون وموظفات بوزارة المالية، بالقبضة العامة، بالتعليم.. الخ. أصلي من مدينة الخميسات، جذوري في أكوراي وجدي الأكبر هو سيدي محمد بن عمر، الذي «يعمر» موسمه بأزمور. وابنه مدفون بأحد الأضرحة بمدينة سلا التي هاجر إليها وخلف بها سلالة. كيف اكتشفت أن لك قدرة على قراءة الغيب؟

- تلك قدرة خصني الله بها

وتوارثتها أبا عن جد. فسلالتي كلها من الشرفاء.

ثم أردفت موجهة كلامها إلى «رابحة»:

- تذكرين تلك المرأة التي أشبعيني شتاء، كنت قد قررت أن أخرجها من بيتها غير أنني خفت عليكم، لأن السحر قد يطال جيرانها أيضا.

علقت «رابحة» بتحد:

- ليس هذا مشكلا، نحن نرغب في رحيلها، فأخرجها إذا استطعت.

أصرت «الشوافة»:

- لا أريد أن أتقصد ذنوبكم، أنتم لم تفعلوا شيئا. وسأؤذيكم إذا فعلت. سترين، سينتقم الله منها لأنها أساءت إلى شريفة من شرفائه. إحدى الجارات تشاجرت معي ذات يوم، وكانت حاملا، فتضرعت إلى الله أن يجهض حملها، وبعد أيام قلائل، بينما كانت نائمة أبصرت رجلا أحمر بتياب حمراء يقتحم خلوتها ويعمل أصابعه في بطنها ويستل جنينها. بعدها مباشرة وضعت طفلة ميتة.

ثم توجهت إلي:
- هل جئت من أجل «السعد» أم «الصحة»؟
- من أجل «السعد»..
- اسمعي يا ابنتي، عندك «الديار» (1) في سعدك، واش كاين شي حد ولا ما كاينش؟
- كاين..
- آه، ولكن الشغل عندكم بارد.. وهذا السيد، واش تقدم للعبة؟
- نعم
- ولكن علاش كيتوخر؟
- لا أعرف..
- كريتو الدار؟ فرشتوها؟
- نعم
- وباقي مادرتو العرس؟
- باقي..
- «الديار» مديورك على العرس.. واللي دارت هاد الشي المرأة المربوعة القد، سمراء اللون. شكون السمراء؟ أمه أم خالته؟
- ...

- نيتك صافية.. وهاه الرجل عندك العقد معه؟
- نعم..
- وشكون هاد المرأة مولات التربية؟ (3)
- أنا..
- وشكون هاد الرقيقة الحمرانية؟
- كاينة..
- عندك علام الفرح، غادي تفرحي وتسعدي، وشكون هاد المرأة الغليظة والبيضاء؟
- كاينة..
- عندك «الديار» مع نجوم الليل على ثلاثة ديال السوايع عند الفقيه الأسمر عامر الكتاف، وجاءت عندك للدار وولأ وهزوها داوها، شكون هاد الغليظة اللي ماشي حمراء بزاف وماشي بيضاء بزاف؟
- كاينة..

مع نجوم الليل في القبر المنسي

- الغذاء ليس مهما... يستطيع أن ينتظر.
تبعثها مخترقة ممرا قصديريا ضيقا ينتهي إلى غرفة معتمة، أجلسني على لحاف قديم وجلست قبالي ثم سلمتني أوراق «كارتا» وامرتني بإعادتها إليها بعد وضعها على قلبي، أفردت الأوراق أمامها، تأملتها قليلا ثم أمرتني بإعطائها عشر دراهم وبعد ذلك شرعت في العمل.
- عليك وإلا على غيرك؟
- علي

حي قصديري فقير، أزقة متربة وقاذورات متناثرة في الزوايا، تماكما تتناثر بيوت التنك دون هندسة مسبقة، أعلام بيضاء وخضراء تتسلق سقوف بعض البراريك، اقتربت من! حدها، طرقت باب الصفيح، أطل وجه جرده الزمن من ملامحه وأحاله إلى قطعة تجاعيد يابسة. كان الوقت ظهرا، وكانت المرأة تلوك قطعة خبز أدركت أنها غذاءها فقلت معذرة:
- سأعود بعد أن تكلمي غذاءك.
- امسكت معصمي قائلة:

في عظامك، وراسك دايع عليك، وكتجيك الغمة، آ؟ كاين هاد الشي وإلا ما كاينش؟
- كاين، ولكن علاش دارولي هاد الشي؟
- الحسد أبنتي، الحسد باش تدار هاد الشي. الدار اللي جات في الجراي وزريع النوار ديال من؟
ديالكم؟

- نعم، ديالنا.
- إيواشفتي! المرأة الغليظة ديالك؟ أش كتجيك خالتك؟

- نعم خالتي.
- إيواشفتي، جابوها لي، ها أنا كنشوفها دابة، جابتها «للا عائشة» (2) وشكون الرجل المريض اللي عندكم في العتبة؟ مريض بالسكر؟
- لا، واحد الرجل بعيد



الماء لمجره والعبد لمولاه. اذا مادتريش هاد الشي أنا منعرفكش.
- وعلاش هاد المرأة بغات تفارقنا؟

- إيوا قال له علاش حسدتني قال له على صحتك (!) على خيرك وماكلتك وشرايك وكسوتك، وعلى ما كيخسر لك خاطر، الحاجة اللي تطلبها في الصباح تجيك في العشية، كاين وإلا كذبت عليك؟
- كاين.
- وأنت ما كتكتميش سر، اللي والا كتحكي له، كتعاودي للناس، والناس بحال الحيط بلا لساس.
أفردت الورق مرة أخرى، تأملت «الري» بعض الوقت ثم صرخت:

مديور له الديار باش ما يديرش العرس، لا حول ولا قوة إلا بالله. أنت بغيتي العرس ياك؟ وهو ما بغاش. ما باغي يخسر والو. غير يشدك ويديك للدار. وأمك باغيا العرس وباغيا داك الشي بقواعده، وهاد الشي كله بسبب السحر، ودابة داير لك بحال الرعدة



نايض لكم، دابة أبنتي عندك الكتبة مع نجوم الليل على ثلاثة ديال السوايع وهي كتكتب لك، وتهزات ديك الكتابة وتحطات في القبر المنسي، دابة أبنتي غادي إما تطفى «اللدون» وإما تحملي معك الحروزة، واحد تعلقيه في البرد وواحد تعلقيه معك ثلاثة أيام والنهار الرابع تديره في المسند ديال راسك، والآخر تبخري به، وراه غادي يولي

- المرأة السمرء، والبنت الرقيقة الطويلة، بيضاء اللون شنو كاتجيك؟ هذه من أول مرة ما بغياكش. شكون هي اللي ماكانتش باغياك النهار الأول؟
- كل شي كان باغيني!
- لا الرقيقة الطويلة ماكانتش باغياك.

حتى في الآخر عاد بدات كتبغيك شوية بشوية، لأن هاد الشي تدار لك شحال هادي، ماشي لبارح ماشي اليوم. هاد الولد من مدينة أخرى؟
- نعم.

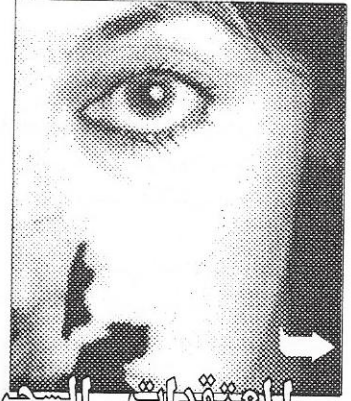
- وشنو هاد الشي عندكم، تيبان غادين تسافروا بجوج والاشنو؟
- نعم

- ما تخافيش، هاد السفر عندكم مزيان، فيه الخير. هاد المشكل ديال العرس كتختمي فيه واش تديره وإلا لا.
- هو ما بغاش.
- هو ما بغاش أبنتي لأنه

تمتمت في مونولوج هامس وهي تفرد مرة أخرى أوراقها: «ألو الدين، اللي ما عنده راجل ما عنده أكتاف وما عنده يدين» أمرتني:
- صلي على النبي!
- صلي الله عليه وسلم.
- عندكم المشاكل وراسك دايع، وما بقتوش كتطوعوا لبعضكم، كنتم بحال الخوت

ودابة ما بقتوش كتحاملوا، ويلا خليتي هاد الشي غادي يطلعك، دابة أبنتي دايرها المرأة الغليظة، البيضاء، وهي عدوة ما فيهاش الخير، عييتي ما تديرني معها الخير، وتشري لها وتحزريها والو، ما نفعلش فيها داك الشي، منين كتشوفك كتعنتك وتفرح بك، غير أنت كتدوري ظهرك وهي كتصبع لك. وبسبب الذكر هاد الشي كله





الفتيات السحريّة

في العائلة مريض بالمعدة.

- ما تخافوش، غادي بير إن شاء الله،
شكون مول الطوموبيل زرقاء، رجلك؟
لا.

- شكون.

- ما عرفتش!

- داك الشي داروه لك من الحسد.
واحنا غادي نخدمو شغلنا ونحيدو لك داك
الشي، وديك الساعة عاد قول لي «برافو»!
معك في العمل ولا مفرقين.

- مفرقين.

أبو طارق:

من المسرح الى استحضار الأرواح!

أبو طارق، رجل ساهم في مرحلة
سابقة، بفعالية في الساحة الثقافية
والفنية المغربية، وكانت له إبداعات
فنية عديدة، تحول بعدها إلى ارتياد
تجربة أخرى تمثلت في استحضار
الأرواح، و«معالجة» المرضى
المصابين بأمراض نفسية مختلفة
يعزوها صاحبنا إلى الجن. كيف
يبرر هذا التحول في مساره
الحياتي. وكيف يبسط قناعاته
الجديدة التي تبدو لأول وهلة في
تنافر تام مع تجربته السابقة.

- داك الشي اللي دارو له دوخ له راسه
حتى كان غادي يطلقك، راه كان غادي
يطلقك غير ربي حفظ. ودابة يلاما
بطر تيش براسك غادي تبقى لاديدي
ولاحب الملوك.

- وشنو المعمول؟

- أنا غادي نحيد لك داك الشي، هادي
خدمتي. دابة راه كيلعب في الزنقة مع
العيالات، حيث الزنقة لا بد منها، ولكن
هاداك غير لعب الزنقة ما تخفيش، أنا غادي
نحيد لك داك الشي كله، ويرجع بحال
الخاتم في أصبعك، أنت غادي تجيبي غير
أربعين ألف فرنك واحنا غادي نخدمو له
باش يدير العرس والواجبات دياله، وغادي
نعطيك الماء اللي تعومي به باش تولي
لاباس، وباش تولي اللي قلتها له يديرها.
ارجعي في ثلاثة أيام الجاية، اذا تعطلتي
داك الشي ما يقبطش. تعالي قبل العصر،
حيث في صلاة العصر أصحاب المكان
كيمشي في حالهم.

وحبات عقيق ومفاتيح صغيرة وقطع نقدية
وغيرها وبدأت تعبت بمحتواه وتحرك
شفيتها كأنها تخاطب أشخاصا سريين،
وإشفاقا على جيبتي من مصاري فاضافية
قاطعتها:

- لا تفعل شيئا الآن، لم أعد أملك
سوى خمسة دراهم.

- خمسة دراهم لا تنفع، عودي في
المساء ومعك 100 درهم وقطعة من ملابسك
الداخلية، ساكون بانتظارك، ولا بأس أن
تعطيني الآن خمسة دراهم التي معك!!
وسأجعل من زوجك خاتما في أصبعك
تديرينه كما تشائين

(1) يقصد به السحر.

(2) يدعي السحرة أنه اسم لأحدى
الجنات.

(3) التربية تعني: الرضيع.

عبد الله زيوزيو:

باحث وطبيب أخصائي في الأمراض
النفسية

تراث شعبي له جذور تجب مقارنته بالبحث العلمي

- هامي فينا هي، عدوة ما فيهاش
الخير بمرة، وهي من عائلته، وحتى الرقيقة
من عائلته، وهما دائما غادين عند الفقيه، ما
كيحيدوش من عنده، وأنت صافية وقلبك
أبيض. على نيتك غادي يخلصك الله.

تأملت ورقة أخرى وأردفت:

- عندك علام الفرح، غاديا تفرحي
وتسعدني يلا حيدتي داك الشي. رجلك
شوكتة غير طالعة بحال العقرب وأنت حالك
الله عالم به، في الصباح كتنوضي وما
تقدري تديرني والو، منين كتفريقي كتصيبني
دموعك مقرونين وراسك داخ، دابة آبنتي
غادي تحيدي هاد الكتبة وكل شي يرجع
لك، ما تحيديهاش ما تكذبش عليك!

ثم حملت طبقا مليئا بأصداف البحر

لدي خمسة مجلدات للدكتور حسن إبراهيم عن تاريخ الإسلام، وهو يستند على الطبري وابن خلكان ومؤرخين عرب آخرين. ما أمارسه إذن هو قراءة القرآن على الناس المصابين بالصرع.

- وهل أعطت هذه الممارسة أكلها؟
- مردودية ممتازة، فأنا أمارس منذ عشر سنوات والنتائج جيدة جداً، لقد عالجت خمسة أطباء، وتجاوزوا بذلك حالاتهم النفسية.

- وكيف تتم عملية الصرع؟
- أنت الآن إذا قرأت عليك القرآن ستصرعين.

- حتى لو كنت معافاة؟
- لا. يجب أن لا تكوني معافاة، فأنا سأقترف ذنباً إذا ألصقت بك المرض.
- وما هو نوع المرض الذي يصاب به زيناؤك؟

- مرض ناتج عن قلة النوم، والكوابيس وارتعاشات،

كنت أتوفر على قوة داخلية لا أتبينها، وربما هي قدرة أكتسبتها من عملية التركيز التي تمرنت عليها في السابق، ثم من دراساتي النفسية لأنني قرأت كثيراً دراسات علم النفس، علاوة على قراءاتي لتاريخ العرب وتاريخ الإسلام حيث عثرت على أشياء خارقة للعادة



- من المعروف أنك ارتدت في السنوات الأخيرة تجربة حياتية جديدة، منها ما يتعلق بالتنجيم واستحضار الأرواح، كيف حققت هذا المنعطف؟ وهل هي محاولة فلسفية لاستكشاف الماورائيات؟

- ما أقوم به لا علاقة له بالتنجيم، يقدر ما له علاقة بتجربتي الفنية السابقة وهذا هو العجيب!، خصوصاً تجربة التعبير الجسدي والايحاء. إذ كنا نقوم بعدد من التمارين منها نقطة الصفر، وكان عدد من الطلبة يعيشون حالات غريبة كانت دائماً مثار تساؤل لاتي. بعد ذلك قررت في فترة من حياتي أن أدرس هذه الظواهر، علاوة على أنني كنت أسمع عدداً من الناس يتحدثون عن الصرع واستحضار الأرواح، فبدأت أقرأ كثيراً عن الموضوع، واكتشفت أشياء مهمة جداً. ولكن ذلك كله لا علاقة له بالتنجيم الذي هو عبارة عن دراسة النجوم والطاقم، أما ما أمارسه فهو التداوي بالقرآن. فأنا أقرأ قرأنا على المريض، ربما

يجب في الواقع تحديد مفهوم الشعوذة، فقد يتصور البعض أنها تشمل الممارسات الطقوسية المتعلقة بزيارة الأضرحة، والجدبة أو الحضرة، والشوافة والفقهاء.. الذي يصنع تماثيلاً لوجهاً أو التداوي بالأعشاب.. الخ، كلها تندرج للأسف دون تمييز، ضمن

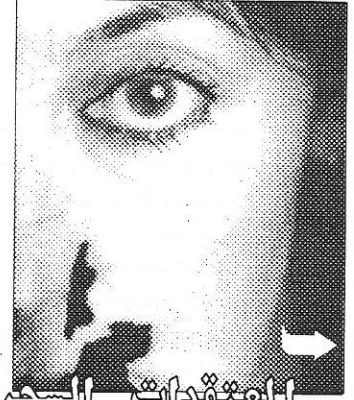
الشعوذة. بينما هذا مجال واسع يتطلب شيئاً من التحديد والدقة كشرط أولي. ثانياً نلاحظ أن هذا النوع من الممارسات متفش بصورة كبيرة في معالجة الأمراض النفسية فأول ما تقوم به عائلة المريض هو اللجوء إلى هذه الوسائل العلاجية (الفقيه. الزيارة، ليلة كناوة أو عيساوة.. الخ) ثم بعد ذلك يذهبون إلى الطبيب. نسبة يسيرة من الناس هي التي تتوجه مباشرة عند الطبيب

المختصين وفقر التجهيزات وغيرها تدفع المريض إلى الاكتفاء بما تطلبه يده. وهكذا بدل أن نجد في المناطق النائية أطباء عملاً فإننا نجد متطبين شعبيين يتوزعون لاختصاصات، بعضهم في داء الكلب (الصعر) والآخري

المينايجيت والثالث في أمراض النساء... الخ ويرجع ذلك من جهة لغياب الأطباء ومن جهة أخرى لانعدام الثقة بين الطبيب والمريض، إذ نعثر أحياناً على ممارسة الشعوذة في الطب نفسه، فمثلاً طبيب عام يحقن المريض بمادة الكزليوكاين في رأسه أو في ذراعه.. حسب موضع الألم. وهناك طبيب في برشيد أصبح كالضريح، يجيئه الناس من كل الأقطار.

المختص. وفي معظم الأحيان، يدعي الرجال أن النساء هن المسؤولات عن ذلك (الجذات، الامهات، الزوجات...) بينما يشهد الواقع أن الرجال يتعاطون كثيراً هذا النوع من الممارسات رغم تعلم نسبة منهم وحصولها على شهادات جامعية.

هناك عدة عوامل تدفع الناس للجوء إلى الطب الشعبي، منها عامل الفقر وتخلف البنية التحتية للطب بالمغرب. فقلة الأطباء



الاستغاثات السحرية

وخوف مستمر.

- يعني مسكونين.

- طبعاً فالجن موجود، ومن ينكره فهو مشرك، وأئمة المسلمين كلهم أثبتوا اتصال الجن بالإنس. هناك من الناس من ينكر هذا ويعتبر الصرع ضرباً من الشعوذة، ولهم أقول أن شيخنا ابن تيمية كان يصرع، وابن قيم الجوزية كان يصرع وفي فتاوي ابن تيمية جزء مهم حول الصرع يتكلم فيه عن اتصال الجن بالأنس، كما أن ابن قيم الجوزية في كتابه «زاد المعاد

في هدي خير العباد»، له جزء مهم في «الطب النبوي» يتكلم فيه عن الصرع ودخول الجن في جسم الإنس وطريقة معالجته.. الخ ومشايخنا في المغرب كانوا منذ القديم يعالجون بهذه الطريقة. هناك أيضاً البعد النفسي للمسألة، إذ توجد حالات ليست بالضرورة مسكونة بالجن، ولكن نظراً لاعتقادها الراسخ بأنها ستعالج عن طريق الصرع فهي تعالج بعد العملية وتشفى. فقد زارني مراراً أشخاص من هذا النوع وتمكنت من علاجهم عن طريق قراءة القرآن، انطلاقاً من الآية الكريمة «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين».

- في الحالات «المسكونة» هل تدخل في حوار مباشر مع الجن المحتل؟

- نعم، حوار مباشر، بتغيير صوت المريض، ويشعر بتمزيق ثيابه، ثم يصاب بنوبة هستيرية. إذا شئت رؤية ذلك يمكنك زيارة أحد الصارعين.. أنا أمارس قليلاً لأنني لست محترفاً، فأنا أهتممت بالموضوع كارتيا للتجربة فوجدتني «غارقاً» فيه. يمكن أن تزوري «بوياعمر»

مثلاً وسترين بنفسك..
- لقد ذهبت إلى «بوياعمر» وكان الأمر مثيراً للغاية.
- ألم تشعر بشيء.
- عندما سقطت النساء أمامي «مصروعات» أقشعر بدني وشعرت ببعض الاضطراب.
- أنت مريضة إذن، ويجب أن أعالجك بالقرآن.
- لست أدري، لم أشك يوماً من شيء محدد.

- أنت مريضة أقول لك، والدليل أن حالتك هذه أصابتني الآن، فيدي ترتعش، وعندما يكون أمامي مريض مسكون تتنابني هذه الحالة، يجب أن أقرأ عليك.
- لا مانع لدي، شكراً لك. لقد رأيت بألم عيني بوياعمر «يخاطب الجن»! ويطلب منه مغادرة جسد المرأة، ورأيت هذه الأخيرة تجيبه بلسان الجن قائلة أنه لا يرغب في الخروج.
- هذا بالضبط ما أفعله. وقد تبين أنه أسلوب فعال، وهو الأهم، فالمطلوب هو

النبوة.

أحياناً نلاحظ نوعاً من المزايدة بين الطبيب الشعبي والطب العلمي، إذ هناك حالات يفرض فيها الفقيه (أو المتطبيب) على المريض إيقاف الدواء الذي أمره الطبيب بتناوله، وهو أمر تترتب عنه مضاعفات خطيرة في بعض الحالات.

لكل هذه الممارسات، كما لغيرها جذورها التاريخية. هناك مثلاً الطريقة العيساوية المتجذرة في المغرب وهناك أثر روماني قديم «تنباسا» مرسوم عليه لوحات جدارية تشبه رقصات الجذبة عند عيساوة في موسم الهادي بن عيسى. ويجب في نظري مقارنة هذا التراث بالبحث العلمي. ذلك أن ما أنجز لحد الآن، كان على يد باحثين في المرحلة الكولونيلية وأبحاثهم لا تخلو لذلك من أهداف سياسية استعمارية وعليها الآن القيام ببحوث جديدة للخروج

بخلاصات علمية حول هذا التراث الشعبي. هناك نوع من التصور الفانتازمي يدعي أن النساء أكثر قابلية واستجابة للشعوذة والسحر بحكم إيمانهن بقدرة هذه الممارسة على أكسابهن سلطة ما. بينما في الواقع نجد الرجال أيضاً يؤمنون بكل ذلك. لا توجد احصائيات ولكن لا توجد في زايي علاقة ضرورية بين المرأة والشعوذة حتى تاريخياً يجب أن يعاد النظر في ذلك. أظن أن هناك تفخيم متعمد يهدف النيل من النساء.

فعلاً تقبل النساء بكثرة على الأضرحة، لأنه تاريخياً، لم يكن مباحاً للنساء مغادرة البيت إلا في حالات نادرة منها زيارة الأضرحة والقبور، وكانت تلك فرصتهم لاقتحام مجال آخر، ولا يزال هذا البعد الثقافي قائماً إلى الآن. وهي عندما تذهب إلى السيد تجد من ينصت إليها،

فيما يخص الصرع، هناك توضيح أساسي مفاده أن الصرع مرض عصبي Neurologique، تشخيصه وعلاجه معروفان، وهو يدعى l'épilepsie. هذا الصرع مع صرع الأرواح يخلق التباساً في أذهان الناس. فالمرض ينتج عن اضطراب بعض الخلايا في المخ والعامية يتصورون أنه ناتج عن الجن، (المسلمين). ومن علاماته أن المريض يقوم بحركات هستيرية ويصاب بنوبات حادة ومستمرة، وهو مرض يتطلب جلسات طبية متعددة للعلاج. وكل ما يفعله «الفقيه» هو دفع المريض ليعيش في حضرته إحدى النوبات يرتاح بعدها، غير أنه ارتياح مؤقت إذ سرعان ما تعاوده

الادعاء والكذب، مثلاً يدعون القدرة على قراءة الغيب، أو يطلبون من المريض أن يعلق حجاباً يقيه من الشر، وهم يجدون استجابة لأن الناس يثقون بالخرافات، وهي جزء من تركيبهم النفسية.

- ولكن إذا كان حمل «الحجاب» يحقق توازناً وثقة، واطمئناناً نفسياً للمريض، ألا ترى أنه أيضاً نتيجة إيجابية إذا احتكنا لمنطق الغاية تبرر الوسيلة؟

- ربما، ولكن المشكل هو أن الداعية مشعوذة، وهو بذلك يكرس الشعوذة والفكر الخرافي، ولذلك يوجد الآن عدد لا بأس به من الناس الذين لم تعد لهم ثقة في كل هذه الممارسات، وهم يخلطون في ذلك بين الشعوذة وبين صرع الجن.

- كيف تفسر ارتفاع نسبة النساء اللواتي يعالجن على يدك؟

- لأن النساء يملكن الحاسة السادسة، والشيطان يتلبس بالإنس الذي يتوفر على حاسة قوية، وهذه الحاسة تجعله أكثر رقة وأكثر ضعفاً، والجن يتسلط على الكائن الضعيف لذلك تصاب النساء بنسبة أكبر.

- ألا تتصور أن الأمر يعود إلى كون المرأة أقرب إلى الشيطان من الرجل، أي سريعة الغواية.

- لا. لا. أنا أقول ذلك. هذا موضوع صعب، أنا أستدل بالكتاب والسنة.

- الكتاب يقول أنها هي التي أخرجت آدم من الجنة.

- أوه، لا. أنا أعتقد أن المسألة ترتبط بالعاطفة المرفهة للنساء.

- ما نوع الحالات التي تصيب مريضاتك؟ وكيف تتعامل معها؟

- الحالات تختلف هناك حالات خفيفة تتطلب جلسة أو جلستين، وهناك حالات قد تتطلب خمسة شهور أو أكثر.

أحاول في البداية التعرف على تفاصيل حياة المريضة، فأتركها تحكي كل شيء تماماً كما يحدث عند طبيب نفساني،

يحارب هذا النوع من الممارسات، وقبل خمس سنوات اندلع حريق بأحد البيوت بالمدينة المنورة وعندما قام صاحب البيت لإخماد النار أصبح كلماً طفلاً مكاناً اشتعل مكان آخر، حضر رجال المطافئ ورجال الشرطة، غير أن الوضع ظل على حاله، وحضر التلفزيون لتصوير هذا الحدث المثير، فقام عبد العزيز ابن باز مفتي الديار السعودية بإصدار أمره للشيخ علي العامري للذهاب إلى ذلك البيت وقراءة القرآن فيه، فخدمت النار، فأعطاه المفتي أمراً بمعالجة الناس. علي العامري يستقبل الآن ما يفوق ألف مريض في اليوم الواحد، يجيئون من المدينة المنورة ومن دول الخليج، ويعالجهم جماعياً كما يفعل بوبا عمر. وقد أصبحت السعودية تعترف بهذا النوع من العلاج، وهو علاج فعال في الكثير من الحالات. أنا عالجت طالبات وطبيبات أذكر منهن واحدة تملك عيادة بسلا، وأستاذات... الخ.

- هل تعالج الأمراض العضوية أيضاً.

- لا، أبداً، أعالج الأمراض النفسية فقط، وبقراءة القرآن لا غير، لا أعطي أعشاباً ولا أقدم وصفات، أضع يدي على رأس المريض وأقرأ قرآناً، هذا كل ما في الأمر.

- لكنك تدخل في حوار مع الجن؟
- نعم، بعدما يصاب المريض بالنوبة، أحاور الجن وأحثه على مغادرة الجسد.

- هل يتردد عليك الكثير من الذكور؟
- نعم، الكثيرون. أذكر منهم طبيب أسنان زالدار البيضاء أتهراسته

«بمونبولي» بفرنسا، وهناك أصيب بالنوبات، وقد شفي على يدي. هناك مثل

يقول: «إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم» فإذا خرج الشيطان الخبيث من الجسد فإنه يشفى. فوجود الجن مسألة لا يتناطح عليها كبشان، فهو موجود واتصاله بالإنس لا جدال فيه. غير أن هناك شعوذة كثيرة، هناك أناس عديدون يرتزقون من

شفاء المريض، كل الوسائل مشروعة إذا كانت تؤدي إلى الشفاء، خصوصاً وأن الطب النفسي لم يبلغ درجة من التقدم يشفي بها جميع الحالات المرضية. أذكر أنني كنت أتناقش مرة مع طبيبين تونسيين لا يؤمنان بالجن، ولكنهما، بعد اطلاعهما على تجربتي اقتنعا أن المهم هو النتيجة، فإذا كانت النتيجة إيجابية فذلك هو المرغوب.

- أفهم مما أسلفت أنك ارتدت هذه التجربة بناء على اطلاع وقراءة فقط، معنى هذا أن كل شخص اهتم بقراءة ما قرأته سيصبح بمقدوره صرع الجن.

- المسألة لا تتعلق فقط بالقراءة، طبعاً هي كانت مفتاحاً لاكتشاف هذا العالم الآخر، غير أنني أتصور الأمر يتعلق بموهبة ربانية ليست في متناول الجميع، فأول شرط يجب توفره في من يمارس هذا العمل هو الجلد والتماسك، في حين يخاف معظم الناس من الجن ومن الأذى الذي قد يلحقه بهم. فالموهبة ضرورية وبعدها يأتي الاطلاع والمعرفة. أعطيك مثلاً بما حدث في السعودية، فالسعودية بلد كان

فتحكي وتكلم تماماً كما لو كانت في جلسة للطب النفسي وبعدها تدفع مقابل مادياً. بينما للرجل فضاء أوسع (المقهى، الملعب...) ويعتبر الموسم بالنسبة للنساء مجالاً أيضاً للحتكاك بالجنس الآخر، فالنساء يلجأن إلى هذه الأماكن لاكتساح فضاء رجولي أكثر منه لأنهن مصابات بمشاكل نفسية. أظن أن الموضوع يتطلب دراسة علمية متعمقة.

المرأة المغربية والسؤال السياسي

(حول خطابين: جدلية الخاص والعام)

أحمد شراك



الامتيازات السحرية

وأعلم منها ان كانت متزوجة ام مطلقة، تاريخ مرضها، هل عرضت نفسها على طبيب، وفي هذه الحالة ما هي استنتاجاته.. الخ بعد ذلك أشرع في العمل، أما إذا كان المرض عضوينا فإنني أنصحها بالذهاب إلى الطبيب.

- تجربة مثيرة حقاً!

- مثيرة جداً، خصوصاً أنا الذي يهتم بالمرسح، وجددتني في قلب مسرح آخر بتفاصيله وتناقضاته وغرائبته وديكوره الخاص.

- كيف يتعرف عليك زبناؤك. هل

لديك مثلاً بطاقة زيارة؟

- لا. أنا لست محترفاً ولست متفرغاً،

فأنا الآن موظف، ربما اتفرغ في المستقبل إذا اقتنعت بذلك، أما زبنائي فيتعرفون علي بواسطة بعضهم.

- ألا تفكر في تدوين هذه التجربة

مستفيداً في ذلك مما تختزنه من تفاصيل عن حياة هؤلاء الناس؟

- أفكر في ذلك، ولكنني لم أشرع بعد

في الكتابة. □



إن مقارنة الخطابين، الكتابين (1) دفعة واحدة أملتتها إشكالية الخطاب حول المسألة النسائية، وتنوع هذا الخطاب على مستوى البنيات والمحتديات والأجناس والخلفيات الإستمولوجية (2). ومن تم ملامسة هذين الخطابين معا (الخطاب الإيديولوجي-العلمي، والخطاب العلمي-الإيديولوجي) ليس إلا نموذجاً للتحليل، قد تنسحب تأويلات قراءته على الخطابين بشكل شمولي، ومن هنا اخترت هذين الكتابين من باب التجريب لتناول مضمون الخطابين (التنازع والتخريجات المعرفية...) وخطاب المضمونين (مستويات التحليل والمنهج والأدوات...)، حيث يمكن القول، أن الخطابين متداخلين ومتشابهين إلى حد التقاطع، بل والتطابق، توجهما في الغالب الإشكالية الجنسانية ضمن هيمنة المقترب الإيديولوجي بشكل خاص، كما سنحاول توضيحه في الآتي:

1- أطروحة التماثل:

يتميز الكتابان بمجموعة من

التماثلات، يمكن رصدها في التجليات الآتية:

أ- إشكالية واحدة:

تشغل إشكالية واحدة في العملين، وهي إشكالية السؤال السياسي بالنسبة للمرأة المغربية، وتحديد علاقة المرأة بالخطاب السياسي والقرار السياسي، وتوجه هذه الإشكالية فرضية مركزية هي التغيب الفعلي للمرأة، رغم حضورها العددي والجنسي القوي.

ب- استراتيجية معرفية متشابهة:

يمكن ملامسة هذه الإستراتيجية من خلال القنوات التالية:

- غياب المرأة في المؤسسات الاجتماعية والسياسية (البرلمان، الوزارة، الجماعات المحلية، الغرف الفلاحية، غرف التجارة والصناعة الحديثة، غرف الصناعة التقليدية، النقابات...)

- غياب المرأة على مستوى المشاركة

ثريا

كثيرون سيشعرون باليتم وهم يرون ثريا بصوتها الصافي وابتسامتها العارمة، تتوارى هادئة خلف عتبات الموت.

كثيرون سيتلقون غيابها ألماً ثقيلاً وفقداناً لا حدود له وهي التي كانت تعرف كيف تملأ مساحات فقدان، وكيف تنشر ظلال أمومتها الوارفة على امتداد هذا التراب.

وكثيرون سيلمحونها اليوم قابضة على زمام حزننا، عاكفة على ترويض الفجيعة مثلما كانت دائماً، وقد يعلو صوتها قليلاً لتلجم الدمع الذي يتلأأ في عيون أبنائها، مثلما كان يعلو لتجعلهم في حضرة زوار الفجر وسراق اللحظات الجميلة، سامقين كالأشجار. ستظل هي هي. لن يأخذ منها الموت سوى حزنها الخاص. أما تلك النظرة الأوسع في كل عواطفنا فإنها ستكون مشرفة على تشييع نفسها. هذه امرأة لا تترك الأحباب لوحدهم، ولا تسمح للذهول أن يسرق أحداً من أقصى انتباهه. إنها اليد الأخيرة التي تسدل الستائر، أو ترفع مناديلها البيضاء للواقفين خلف القضبان، أو تغلق الباب على الليل الطويل قبل أن تجلس لصوفها الفضي تغزل من خيوطه فجرنا المشتهي. كثيرون سيعثرون على بسمتها، وعلى كلماتها وعلى إيماء يدها الحانية.

الذين ألفوا عبق البيت الأهل بأسماء الغائبين والمنتظرين وصناع الأناشيد اليومية لأحلامنا. والذين استوطنوا مواعيد المحاكمات والاختطافات وقفة الأسبوع، ورسائل السجن، والأوقات الصعبة بين زيارتين، رسالتين ودمعتين. والذين جربوا صبرهم في حضرة صبرها، وخوفهم في لحظة جراتها، ونسيانهم بين أيدي ذاكرتها الصاخبة. كل هؤلاء سيدخلون لأول مرة تجربة بهذا الحجم دون أن يجدوا ثريا في أول اللحظات الصاعقة.

لكنهم سيلتقون حتماً بقامتها المديدة في ذلك المكان المرهف جنب رجل مسكون بخطوتها وبخصبها وبنداءاتها العالية. لهذا الرجل وحده ستسمح ثريا بقليل من الحزن وبعض من أسى قبل أن تجعله يعكف على يتمنا بنفس ظلالها الباردة. ظلال أب في حجم أمومتها.

سلاماً ثريا. سلاماً لمناديك البيضاء.

أبو فارس

الوثائق (وثائق الأحزاب السياسية، الدساتير، الصحف الوطنية، ثم بعض المؤلفات التي لها علاقة بالإشكال المدروس)، ومن هنا حاول الكتاب أن يتموقع ضمن زاوية أكاديمية، خارج البحث الوظيفي، ومن ثم أراد أن يفتح قارة جديدة وهي البحث في المرأة كحيوان سياسي. بينما كتاب «المرأة واشكالية الديمقراطية» فهو في جانب منه تأمل أكسيولوجي حول قيمتي الخير والشر.. هي غرائز متناقضة تتنازع داخل الإنسان منذ الأزل تطغى الواحدة منها على الأخرى، فتشكل نزعة الخير أو نزعة الشر ويظل الطموح قائماً لتأسيس عالم متوازن...» (4) وهو في جانب أساسي منه شهادة نضالية من زاوية المشاركة النضالية في تجارب تمثيلية محلية، حيث حاول أن يرفع هذه الشهادة إلى مستوى تشكيل خطاب إيديولوجي حول قضية المرأة لم يحضر التوثيق على هامش النص، لكنه حضر في داخله، ومن هنا لم يكن الخطاب «حافياً» من التوثيق والإحالة العلمية كما يبدو لأول وهلة.

ان ما يزعمه الخطاب الأول في المغرب (الخطاب العلمي-الإيديولوجي)، إن ما يزعمه -بصفة عامة، وبدون تخصيص هنا- هو ادعائه لكتابة علمية رصينة، بل ويعلن ابتعاده ورفضه لإواليات الخطاب الإيديولوجي، أكثر من ذلك ليحاول أن يبتعد عن السياسة بمختلف التشكلات:

-السياسة كانتماء تنظييمي: أي كممارسة سياسية ونضالية داخل حزام سياسي معين.

-السياسة كولاة سياسي: تمثل تحليل سياسي معين والدفاع عنه داخل

السياسية سواء في المنظمات السياسية اليمينية أو أحزاب اليسار (ركز العمالان على نسبة مشاركة النساء في الإدارة السياسية للأحزاب بمختلف مشارب برامجها السياسية).

-حضور/غياب المرأة في الخطاب السياسي: الدستور، برامج الأحزاب السياسية، (مع الميل «المعرفي» إلى خطاب حزب الاستقلال ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي).

-تخرجات واحدة:

ركز العمالان على غياب المرأة في المشاركة السياسية والتطور السياسي والفعل السياسي، بل وتغيبها عن هذه المشاركة في الأحزاب بصفة عامة بما في ذلك أحزاب المعارضة عبر إرادة سياسية، ميكانيزماتها الخفية والمعلنة هي التهميش والإبداع للفعل النسائي في المجال السياسي: «ان هذا الواقع يجد تفسيره في جانب منه في ضعف تواجد النساء في صفوف الأحزاب السياسية، إلا أننا نضيف إلى ما سبق إن ظاهرة ضعف تواجد المرشحات تعبر كذلك عن مقاومة الأحزاب السياسية لخطر اكتساح المجتمع السياسي من طرف العنصر السنوي...» (3)

2-أطروحة الاختلاف:

ان الاختلاف الأساسي بين الكتابين /الخطابين هو اختلاف على مستوى الاستراتيجية الاستمولوجية من خلال مرجعية مقالية/خطابية، أي مستوى بنيات وجنس الخطاب (خطاب المضمونين)، وهكذا يمكن اعتبار «المرأة والسياسة» كتاب بحثياً ينتسب إلى علم السياسة كتخصص معرفي، حاول أن يرصد مظاهر غياب المرأة في الحقل السياسي رصدًا علميًا، توثيقاً عبر كثافة الإحالات والاحصائيات وغزارة



اعتمد العملان على تحليل كمي، من خلال رصد احصائي، جعلهما «يتسرعان» في اصدار احكام شمولية، وهكذا قدما مجموعة من الأرقام والإحصائيات المقارنة في جلها بين نسبة تواجد الرجال وتواجد النساء على مستوى الترشيح والانتخاب والمواقع القيادية في الأحزاب السياسية، حيث أجمعا -وهذا تحصيل حاصل- على النسبة الخافتة لتواجد النساء، فكان التخريج والتأويل سريعا للأرقام والإحصائيات، بردها إلى إرادة الأحزاب (والرجال) في مقاومة وإبعاد المرأة من المجال السياسي.

ب- تحليل جنسوي:

يحضر الجنس (كفصيلة بشرية) في تشكيل الخطابين، ومن هنا يصبح الجنس آلية أساسية من آليات التحليل والتأويل. يظهر هذا الملمح، بصورة خاصة، في الرؤية التحليلية للأحزاب السياسية باعتبارها أحزابا ذكورية، ومن هنا تحضر ثنائية لا سياسية، ولا علمية (ثنائية الرجل والمرأة) ضمن إشكالية مهمة على الخطاب النسائي بشكل عام في المغرب، وهي الإشكالية الجنسوية أو الذكورية. صحيح أن الشاعرة مليكة العاصمي، حاولت أن ترتقي من البعد الجنسي للمسألة، إلى

الخطابين، يمكن أن «نبحث» عن الأسئلة الكامنة في الخطابين، ثم الأسئلة التي يمكن أن يثيرها الخطابان.

3- الأسئلة المطروحة:

يمكن اعتبار الخطابين مدخلا مفيدا في تناول القضية النسائية على المستوى السياسي وإثارة الجدل الجدي (6) حولها، لمالها من حساسية في المجتمع المغربي.

مدخل قد يطوي مسافات أخرى استقبالا بالنسبة للحقل بصفة عامة. إلا أن هذا المدخل كان رصديا، ووصفيا، وهذا أمر حاصل ومعلن تقر به الباحثة رقية المصدق «أن دراستنا هذه وإن كانت تنطلق من التمثيل السياسي لتطرح مسألة السلطة السياسية وترتبط بتحقيق تنمية سياسية حقيقية وتحرر مجتمعيين حقيقيين فانها تنحصر في رصد الواقع دون أن تتجاوز هذا الإطار لتبحث في شأن تواجد حركة نسائية أو عدمه» (7) لكن كل وصف أو رصد، لا يمكن ابعاده في دائرة التحليل والتركيب بل والتأويل أحيانا. هذه الدائرة التي يمكن تحديد ثلاث سمات -منزلاقات منهجية اتصفت بها:

أ- تحليل كمي:

المرأة المغربية والسؤال السياسي



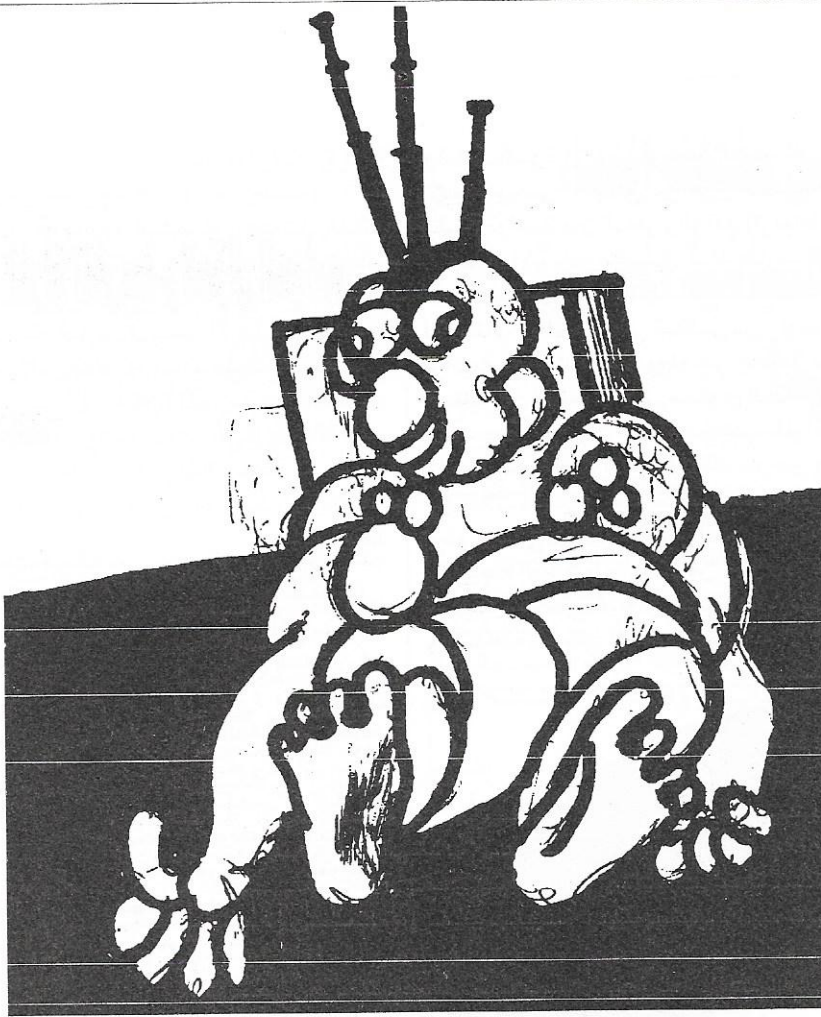
خارج حزام سياسي معين.

تأسيسا على هذا الوضع، يمارس أصحاب هذا الخطاب «سلوك» المثقف العالم، البعيد من كل ما هو ساخن، باسم البرودة في التحليل، بل و«العلمية» في المقاربة، إلا أنه رغم هذا فقد ظلوا -في تقدير- حبيسي إشكاليات الخطاب الإيديولوجي أو ما قبل الإيديولوجي، أقصد شعارات ومطالب الخطاب التعبوي النضالي كمشكلة المساواة، وتغيير مدونة الأحوال الشخصية، ورفع الوصاية عن المرأة (5)...

أما الخطاب الثاني (الخطاب الإيديولوجي-العلمي) فهو خطاب ينطلق من معيار أسبقية التحليل الإيديولوجي، ويتأسس على التحليل السياسي والفعل السياسي (تنظيما وولاء)، ويحاول أن يعكس الوضع الأدنى للمرأة المغربية انطلاقا من مقولة المثقف /التاريخ، المثقف، المثقفة، المنصهرة في التاريخ بالمعنى الواسع للتاريخ (التاريخ كمقولة نسائية، كقضية اجتماعية، كقضية سياسية...).

تأسيسا على هذا المدخل الأولي حول، الخطابين، وبناء على هذا الرصد السريع لمظاهر الاتفاق -الاختلاف بين

**أكبر انجاز للمرأة المغربية، بداية مساءلتها
للسلطة السياسية عبر ممارسة سلطة الكتابة
بعيدا عن أي وصاية رمزية أو جنسية.**



بعد ميتافيزيقي / أكسيولوجي، ثم إلى البعد الإيديولوجي للذكورية (الإيديولوجيا الذكورية) من خلال نقد الذات (المرأة) ودورها في تأثيث هذه الإيديولوجيا عبر طرح مجموعة من الأسئلة الدالة:

«هل الظلم المسلط على المرأة هو دوما من الخارج؟
- أليست المرأة إحدى وسائل ووسائل هدم المرأة؟
هل ننزه المرأة عن هذه النزوعات الشريرة الشرسة - المرأة وما أدراك ما المرأة...» (8)

ثم صحيح كذلك أن الباحثة رقية المصدق قد أعلنت في مدخل كتابها عن رفضها لكل تموقع نسواني (9) «وتبقى دراستنا موجهة إلى كل رجل وامرأة مؤمن بعدالة قضية المرأة، هذه القضية التي تعتبر سياسية وتتطلب توفر ارادة سياسية» (10)، وترتبط على هذا التصور، أقصد التصور الشمولي (من الشمولية) في التحليل، فإن الطرح الخصوصي (الخصوصية الجنسية) يستوعب ما هو شمولي ويطغى عليه.

ج- عائق ابستمولوجي

— أهم عائق ابستمولوجي في الخطابين (هنا) هو التعميم (11)، والتعميم السهل والسريع، والذي يقفز أحيانا على ما هو خاص وخصوصي، وينظر إلى الخطاب السياسي حول المرأة في واحدته، وليس في تعددته واختلافه بل وتناقضه على مستوى الموقع والموقف معا، وهكذا من الصعب مثلا أن يصدر الباحث أحكاما يقينية مثل هاته «... إلا أننا نضيف إلى ما سبق أن ظاهرة ضعف تواجد المرشحات تعبر كذلك عن مقاومة الأحزاب السياسية لخطر اكتساح المجتمع السياسي من طرف العنصر النسوي»

(12).

ولعل التعميم في هذه الحالة، يكون بدوره عائق نحو الوضوح، وامتلاك رؤيا عقلانية، حيث يصبح الغموض «الموضوعي» غموضا ذاتيا، مرتبط بالباحث وليس بالمبحث، مرتبط «بفعل المعرفة ذاته» كما يقول باشلار ويترجم وقيدي. وهكذا «فاتهام» الأحزاب السياسية بالغموض البرمجي والفكري، اتهام يحتاج إلى كثير من التريث والسند العلمي «أن ظاهرة تمثيلية المرأة السياسية هاته التي نجدها متدنية، ان لم نقل منعدمة، سواء على صعيد المؤسسات المنتخبة أم على صعيد أجهزة الأحزاب السياسية تتخذ أبعادا أخرى بحيث تتجلى إحدى انعكاساتها على

غياب طرح فعلي لقضية المرأة ان على مستوى المؤسسة المنتخبة وطنيا، أي البرلمان، أم على مستوى الأحزاب السياسية حيث يسود برامجها التردد والغموض...» (13).

تأسيسا على هذه السمات والمحددات، يمكن ان نتداول مجموعة من الأسئلة / الملاحظات، من بينها: هل يمكن أن يوحد الجنس مختلف النساء المنتميات إلى الأحزاب السياسية المعارضة والحكومية؟ بماذا يمكن أن نفسر حضور الجنس كوحدة، كاتساف بشري، وغيابه على مستوى الخطاب السياسي كاتساف، كرويا متعددة أو مختلفة أو متناقضة؟ ما علاقة الخصوصية الجنسية بالشمولية



المرأة المغربية والسؤال السياسي

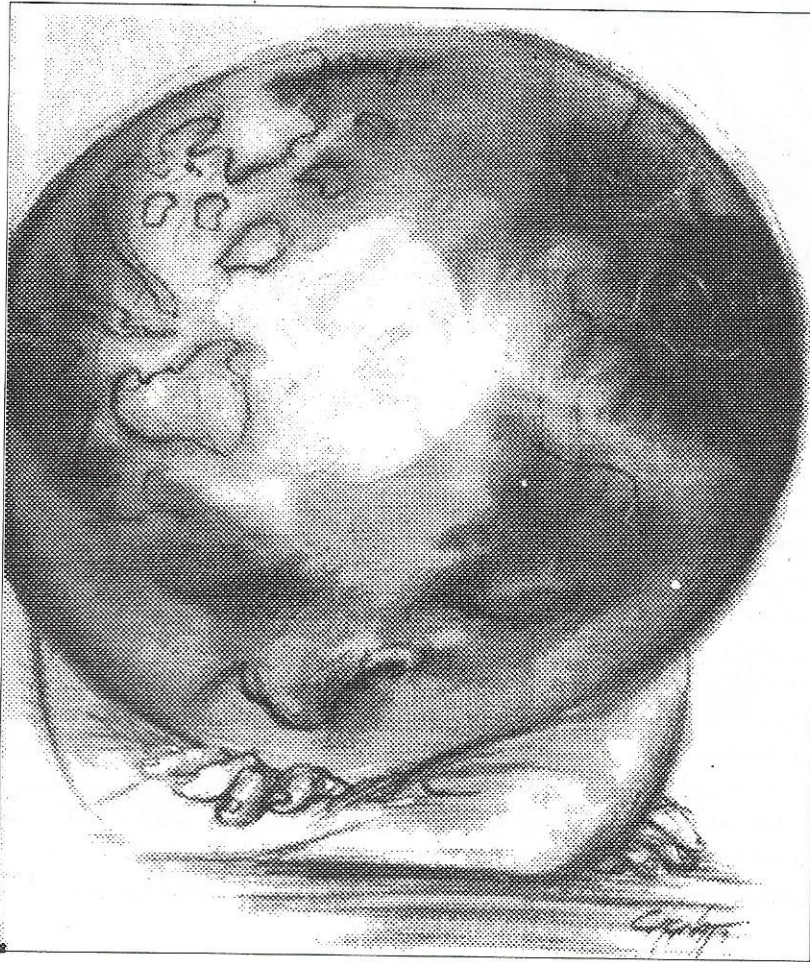


علميا وأكاديميا، لكن هذا الارتقاء لم يبلغ مصداقية مبنية على المستوى البحثي. رغم ذلك شكل الخطابان فتحا لموضوعات جديدة تهم المرأة المغربية في علاقتها بالمسألة الديمقراطية والسياسية. بعد ما «ظل» الخطاب النسائي رهين حساسيات وتيمات، ربما أصبحت مكرورة كالجنس والعمل والعلاقات، وإن أكبر انجاز للمرأة المغربية هو بداية مساءلتها للسلطة السياسية، عبر ممارسة السلطة، سلطة الكتابة بعيدا عن كل وصاية رمزية أو جنسية وهنا يستوفي الخطابان -الكتابان قيمتهما الرمزية.

وأما النظرة الإيديولوجية للخطاب الإيديولوجي، فتنتقل من كون خطابها يشكل تواسلا بين الفكر والواقع (ارتباط الفكر الإيديولوجي بالممارسة السياسية)، بينما النظرة العلمية للخطاب العلمي، فهي تنطلق من زاوية تراتبية للخطاب الإيديولوجي باعتباره خطابا قبل -علمي. على مستوى الكتابين تخصيصا، يمكن أن نقول أن خطاب «المرأة واشكالية الديمقراطية» امتلك الموضوع من خلال «تجربة أولى» ذاتية ونضالية وطورها إلى مستوى تشكل إيديولوجي، إلا أن هذا التشكل لم يعصم من حساسيات ذاتية ونظرية، وإن خطاب «المرأة والسياسة» ارتقى إلى ملامسة الموضوع

المجتمعية؟ من يستوعب من؟ من يحدد من؟ ما حجم وأهمية كل واحد منهما على مستوى تحليل العلاقات المؤسسية والاجتماعية والسياسية؟ مع العلم أن أي حديث عن الخصوصية، لا ينبغي أن يؤدي إلى ما يسميه الدكتور محمد جسوس بالخصوصانية. وأن أي حديث عن الشمولية لا ينبغي أن يلغي الخصوصية الجنسية وفيها. اعتقد أن تداول هذه الأسئلة وغيرها قد يستوعبها المستوى التشخيصي لمختلف الخطابات السياسية حول المرأة، انطلاقا من زاوية تخصصية أدق لمختلف الخطابات السياسية حول المرأة، انطلاقا من زاوية تخصصية أدق كعلم الاجتماع السياسي ابتداء من إجراء تشخيصات ميدانية أو تحليل مضموني لمختلف الخطابات السياسية حول المرأة، ومن هنا أفترض، هذا التناول، إلا مدخلا ضمن مشروع علمي أو إيديولوجي.

وأخيرا أؤكد على أن الخطابين يشكلان اتصالا وانفصالا ضمن الظاهرة الثقافية في المغرب، فهما متصلان على مستوى المضامين النظرية، ومنفصلان على مستوى «التشكل الخطابي»، وإن بينهما توتر أو صراعا، ذلك أن الخطاب الإيديولوجي، عادة ما ينظر نظرة إيديولوجية انتقادية للمعرفة العلمية، وإن الخطاب العلمي، عادة، ما ينظر نظرة علمية انتقافية للمعرفة الإيديولوجية



هل يمكن أن يوحد الجنس مختلف النساء المنتهيات الى الأحزاب السياسية المعارضة والحكومية؟

إحالات وهوامش:

(1) د.رقية المصدق: المرأة والسياسة (التمثيل السياسي في المغرب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1990، ص: 77)
- مليكة العاصمي: المرأة واشكالية الديمقراطية (قراءة في الواقع والخطاب) دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ص: 108.
(2) هناك خطابات متعددة حول المسألة النسائية في المغرب، يمكن تصنيفها على مستوى جنس الخطاب إلى مايلي: الخطاب الإبداعي (بما في ذلك النقد الأدبي)، الخطاب القانوني، الخطاب السوسيولوجي، الخطاب الفلسفي، الخطاب السيكلوجي... ويمكن تصنيف هذه الخطابات من الزاوية الإستمولوجية إلى مايلي:

1- الخطاب التعبوي والمطلب: وهو خطاب مؤسسي وجماعي، تشكله المنظمات النسائية والأحزاب السياسية كاليانات والشعارات والمطالب..

2- الخطاب الإيديولوجي-العلمي: وهو خطاب مرتكز أساسا على التحليل السياسي وتحتل فيه الإيديولوجيا الدور المركزي، بينما تحتل فيه المعطيات العلمية، والتحليل العلمي دور ثانويا.

3- الخطاب العلمي- الإيديولوجي: وهو خطاب يرتكز على العلم كمحتدى، وكأدوات للتحليل والتأويل، لكنه لا يخلو من غائيات إيديولوجية، ويمكن توزيع هذا الخطاب إلى ثلاثة مستويات متداخلة: أ- مستوى تشخيصي لقضية المرأة

ورصد مختلف المشاكل والمعوقات المؤسسية والاجتماعية.

ب- مستوى تحليلي تركيبي: يشمل واقع المرأة الدوني على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ويشمل أيضا الخطاب، كمدونة الأحوال الشخصية والدساتير والحكايات الشعبية والأساطير... الخ.

ج- مستوى نقدي-تأويلي: ينتقد الواقع وسؤال الخطاب، ويحاول أن يؤسس مفاهيم، وينصب تأويله بصفة خاصة على التراث والتراث المقدس من أجل تبرير رهن لشرعية المساواة بين الجنسين.

(4) خطاب الخطاب:

وهو خطاب من درجة ثانية، وهو من هنا خطاب ابستمولوجي (انطلاقا من أن الإبستمولوجيا هي نقد الأسس والفروض والمفاهيم التي يقوم عليها العلم...) انه خطاب مازال في مرحلة التأسيس، وينصب نقده على الخطاب العلمي-الإيديولوجي بصفة خاصة.

(3) د.رقية المصدق: المرأة والسياسة (مرجع مذكور) ص: 37.

(4) مليكة العاصمي: المرأة واشكالية الديمقراطية (مرجع مذكور) ص: 14.

(5) للمزيد من التفاصيل أنظر: أحمد شراك: الخطاب النسائي في المغرب (نموذج فاطمة المرينسي) دار إفريقيا

الشرق، الدار البيضاء، 1990.

(6) نشير هنا إلى ظهور كثير من الكتابات حول المسألة في سنة 1990 بالخصوص. سواء على مستوى الصحف الوطنية والمجلات، كما يمكن ادراج كتاب «السلطات المنسيات» لفاطمة المرينسي، ثم الكتاب الجماعي «المرأة والسلط» ضمن هذا الإطار، وتثير من جهة أخرى إلى أن حدث صعود السيدة بوتو إلى أعلى الهرم السياسي في الباكستان كان له دور في ظهور هذه الكتابات.

(7) د. رقية المصدق: «المرأة والسياسة»، مرجع مذكور ص: 11
(8) مليكة العاصمي: المرأة واشكالية الديمقراطية، مرجع مذكور ص: 96.

(9) تثير هنا إلى أننا بصدد تحديد ومناقشة مجموعة من مفاهيم الحقل النسائي في المغرب، من بين هذه المفاهيم: النسوانية، النسائية، الذكورية، الذكورية المعكوسة، الاستغلال الرمزي، الذات والموضوع...

(10) د. رقية المصدق: المرأة والسياسة، مرجع مذكور ص: 11.

(11) «هناك صورة أخرى يكون فيها التعميم عائق ابستمولوجي، وتتمثل في التعميمات التي تقودنا إلى مماثلات زائفة يتم فيها إزدراء التفاصيل أو فروقا لا ينقص إهمالها من القيمة الموضوعية للقوانين العامة». محمد وقيد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، أبريل 1980 ص: 115.

(12) د. رقية المصدق: المرأة والسياسة، مرجع مذكور، ص: 37.

(13) نفس المرجع ص: 14.

■ هل لك أن تحدثينا عن جمعية الدفاع عن حقوق المرأة بصفتك رئيسة لها، متى تكونت؟ ما هي شروط العمل؟ وما هي الأهداف التي تطمحون إلى تحقيقها؟

ع

○ لقد تأسست هذه الجمعية في 19 يناير 1989 ويتزامن ميلادها مع التطور الاجتماعي العام الذي يشمل بلادنا منذ 5 أكتوبر 1988 ويمكن أرجاع ميلادها الحقيقي قبل هذا التاريخ، إذ في 8 مارس 1988 كانت هناك فكرة تكوين جمعية نسوية تدافع عن حقوق المرأة، واجتمعت تقريبا أربع مائة امرأة تضامنا مع المرأة الفلسطينية - بمناسبة انطلاق الانتفاضة في ذلك الوقت - وقمنا بمسيرة كرمز لدعم المرأة والثورة والطفل الفلسطيني. وقد ساهم في ميلاد هذه الجمعية كذلك غياب تنظيم نسائي خارج التنظيم الرسمي كما أن «الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات» لم يعد يستجيب لتطلعات النساء وطموحهن.

وارتأينا أن إصدار «بيان» مسألة غير ديمقراطية لهذا نظمنا عدة لقاءات مع الفئات المثقفة وربات البيوت واكتشفنا أن النساء يجهلن جهلا تاما محتوى النصوص القانونية التي تنظم حياتهن لهذا قمنا بحملة في هذا الاتجاه وكانت أول مهمة لأجل التعريف بهذه النصوص القانونية التي تحمي كرامة المواطن فيما يخص قانون الشغل مثلا، أما المهمة الثانية في برنامج عملنا فهي تكوين ملفات عن المعيش اليومي للنساء حيث يتم توجيههن بطريقة عملية لانتزاع حقوقهن بشكل قانوني، بما أن الدستور ينص على المساواة بين الجنسين كحق التعليم وحق العمل، ومن بين المطالب التي تنشدها جمعيتنا - وهي جمعية مستقلة عن أي حزب - هي وصاية الأبوين وليست الوصاية الأبوية في حالة الطلاق، وحق الاحترام المتبادل بين الزوجين حيث أن هناك فصول قانونية تنص على احترام الزوجة لزوجها ولأفراد عائلته وليس



عقيلة ورد :

مهمتنا الحفاظ على مكتسبات المرأة الجزائرية

نظمت ليلى الشاؤني (دار النشر الفنك) مائدة مستديرة حول «القانون وتحرر المرأة»، وقد حضر هذه التظاهرة عدد من الكتاب والفنانين من المغرب العربي كالأستاذة فاطمة المرينسي وعمر عزيمان (المغرب) وعالية شماري (تونس) ونور الدين السعدي ومحمد قاسي (الجزائر) كما تم عرض كتب حول المرأة في العالم العربي وشريطين قصيرين Video-clips للسفيمائي المغربي عبد الرحمن التازي والجزائري مرزاق علواش. وقد اتاحت لنا أثناء هذه التظاهرة لقاء السيدة (عقيلة ورد) وهي مجاهدة ورئيسة جمعية الدفاع عن حقوق المرأة بالجزائر العاصمة، للتعرف على تجربتها الغنية التي تمتد عبر ست وثلاثين سنة من النضال كان لنا معها هذا الحديث.

اكتشفنا أن النساء يجهلن جهلا تاما النصوص القانونية التي تنظم حياتهن

تجذرو عيبي، كان أبي وعمي نقابيين نشيطين وكنا نسكن حيا يؤمه المناضلون خاصة من حزب الشعب الجزائري P.C.A و P.P.A والحزب الشيوعي الجزائري P.C.A وكثيرا ما كانوا يتعرضون للاعتقال من طرف البوليس، وكنت أساءل لماذا يتم حجز هؤلاء الناس؟ وفي اعتقادي وأنا طفلة أن الاعتقال يستهدف السارقين والمجرمين كنت لا أفهم، ولم تكن عائلتي تستطيع شرح ما يجري في ذلك الوقت نظرا لصغر سني، وفي المنزل الذي كنا نساكنه كان به كهف ينظم فيه المناضلون اجتماعاتهم وكنت ألاحظ مع صديقاتي وجود ضوء خافت داخله، ولما أسأل والدتي عن سبب وجود ذلك الضوء، كانت تقنعني أنها مجرد أشباح!

إن هذه العوامل كلها ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين عيبي وتهيئي للنضال فيما بعد أي عندما بلغت الثمانية عشر سنة، كان الوضع ببلادنا جد متأزم كان هناك تمييز صارخ بين العمال الجزائريين والعمال الفرنسيين، كان نهب الأراضي من طرف المحتلين، وكان يتم تلقين تاريخ مشوه لبلادنا في المدارس الفرنسية، وفي المقابل كنا نذهب خلال عطلتنا إلى المدارس القرآنية والمدارس الوطنية كمدرسة ابن باديس المعروفة بنضالها لأجل تحرير المرأة.

وفي سنة 1957 كانت بداية عملي النضالي كنت مكلفة بتوزيع المنشائر بقسنطينة بعد ضربها على الآلة الكاتبة، وبعد ذلك شاركت في اضراب «سبعة أيام» تحت الجبهة الوطنية للتحرير للاحتجاج

الذي يعلنه وقدوعت هؤلاء النساء بضرورة الديمقراطية وجئن للتعبير عن آرائهن في مسيرة نظمت في 10 ماي 1990 في أبي سعدة، لأنهن ارتأين أن الوسيلة الوحيدة لمواجهة هذه القوات المتطرفة هي النضال، ومن بين الوسيلة الوحيدة لمواجهة هذه القوات المتطرفة غلاء المعيشة، مشكل السكن الذي تعيشه الفئات الشعبية بحدّة، إن هدفنا هو على الأقل طرح هذه المشاكل لأنه لا يمكننا حلها.

■ بصفتك مجاهدة، وهذا فخر واعتزاز ولكنه أيضا مسؤولية، هل لك أن تحدثينا عن هذه التجربة؟ كم كان عمرك عندما التحقت بالجبهة؟ كيف كانت علاقتك بالرجال المجاهدين؟

○ إنها تجربة علمتني الكثير وقد ساهم الجو العائلي الذي كنت أنتمي إليه في

العكس، وهناك كذلك المطالبة بتقسيم ممتلكات الزوجين لأن المرأة تفقد كل ما تملك في بيتها حين يتم الطلاق.

■ من خلال ما ذكرت نستشف أن نشاط جمعيتكن شامل يطال ما هو قانوني وسياسي واجتماعي

○ نعم، نضالنا يتمحور حول ثلاث نقاط أساسية: الحقوق القانونية، حق التمدريس وحق العمل، والملاحظ أن هناك تراجع عدد النساء العاملات منذ سنتين حيث وصل عددهن إلى 335000 امرأة حاليا أي 7/ من السكان النشطين وفيما يخص معدل البطالة المعلن عنه رسميا فإن نسبة النساء العاطلات لم يخص، ليست هناك تعويضات لهؤلاء النساء رغم أنهن شغلن مناصب قبل هذه الفترة، لهذا فإن لجمعيتنا مشروع خلق مناصب شغل للنساء ذوات الشواهد وذلك عبر تعاوضيات، أما فيما يخص التمدريس والذي هو حق دستوري هناك حاليا إعادة طرح هذا الموضوع نظرا للتصاعد التيار الإسلامي الذي يسعى إلى الفصل بين الجنسين وذلك بحشر الفتيات في المنازل، إنني لا أدافع على اختلاط الجنسين ولكن أعتبر شخصا أن بلادنا ليست مستعدة ماديا لبناء مدارس للبنين وأخرى للبنات، إنني أدافع على حق العمل، وحق التمدريس الذي بدأ يمس حاليا من طرف القوات الرجعية التي تحاول «استعمال» الشباب العاطل ضد النساء العاملات وذلك بواسطة الاعتداءات، والعنف وعلى إثر هذه الوقائع ننظم أياما خاصة ومسيرات ولقاءات مع الضحايا للإدلاء بشهادتهن كما وقع لأرملة وركلة والطفل علي (تم احراق منزل الأرملة وقتل ابنها بعد أن أصدر وافتوى «عدم استقامة الام»).

لقد تم كذلك احراق خمس منازل لنساء أرامل في رمضان السنة الماضية، ودورنا نحن في هذه الجمعية هو مساعدة هؤلاء النساء على تجاوز الرعب والقمع

القوى الرجعية تحاول استعمال الشباب العاطل ضد النساء العاملات

عباسي مدني قال لنا ان المرأة لها دور واحد ووحيد هو الإكثار من الذرية والسهر على تربيتها



يلعبه التيار الديني المتطرف حالياً، إن المرأة الجزائرية شاركت في صناعة استقلال بلادها مشاركة فعالة لهذا ليس هناك أي ميرر لارجاعها إلى البيت تحت غطاء ديني أو أخلاقي، وهناك مجموعة من الجمعيات السنوية تناضل الآن لأجل المحافظة على مكتسبات المرأة الجزائرية التي حققتها أثناء حرب التحرير، إن سني أربع وخمسون سنة ناضلت ومازلت أناضل في هذا الاتجاه.

■ كإمرأة عملية ومناضلة ماذا تجنّين من هذا النوع من المناظرات واللقاءات؟

○ آفاق مستقبلية، وتفكير في إمكانية معالجة مشاكل دول المغرب العربي - خاصة المغرب والجزائر الذي يتميز قانون العائلة فيهما بحيف ضد المرأة بمقارنته مع قانون العائلة في تونس - التي لا تختلف عن بعضها وهو المحور الذي تدور حوله هذه المناظرة وهذا شيء مهم، وفي نظري يجب التوقف أحياناً لأجل القيام بمجرد ما حققناه وما نسعى إلى تحقيقه في المستقبل.

■ كيف ترين مستقبل الجزائر أمام صعود التيار الإسلامي، هل لك أن تحدثينا عن الوسائل التي تستعملها هذه الفئة المتطرفة وما هي الاستراتيجيات التي تواجهونها بها هذا المد؟

○ سوف أبدأ الإجابة عن الشطر الثاني من السؤال، إن الاستراتيجية التي

بمقارنتها مع الرجل في ذلك الظرف، لقد كنت أحمل كميات كبيرة من العملة الصعبة التي كان يساهم بها العمال الجزائريون المتواجدين في فرنسا مثلاً، لهذا عملت الجبهة على اختيار النساء للقيام بهذه المهام وكنا نحن المجاهدات نعطي انطباعاتاً جيداً للسلطات، كنا نجيد اللغة الفرنسية إلى درجة أنهم لم يكونوا يظنون أننا نحمل السلاح للمجاهدين بهدف تفجير مكان ما أو تصفية أحد المستعمرين.

■ لكن بعد الاستقلال انتزعت من المرأة جميع مكتسباتها وذلك بحثها مثلاً على ارتداء الحجاب ومحاولة اقناعها بعدم جدوى العمل خارج البيت وعدم أهمية التمدرس خاصة من طرف القوة المحافظة.

○ إن هذا صحيح، إن دستورنا يعطي نفس الحقوق للمرأة وللرجل، لكن العقلية مازالت متحجرة، زد على ذلك الدور الذي

نضالنا يتمحور حول

ثلاث نقط: الحقوق

القانونية، حق التمدرس،

وحق العمل

ضد الاحتلال الفرنسي ببلادنا. وفي اليوم الثاني للإضراب ثم اعتقالي من طرف الجيش، كانت أمي في حالة رعب مهولة، وكان أبي في حالة فرار بعد اصدار حكم الإعدام في حقه، وبعد ذلك التحقنا بوالدي في فرنسا - اضطراراً بالطبع - واكتشفنا أن الفرنسيين في بلادهم لم يكونوا على علم بما يجري في الجزائر من مجازر واعتداءات من طرف جيش الاحتلال، وقررنا تصدير الحرب هناك لهدف ايقاظ الضمير الفرنسي وإطلاع الرأي العام العالمي على وضعيتنا. وفي 01 نوفمبر 1957 انضمت إلى جبهة التحرير الوطني F.L.N. وكانت مهمتي هي ربط العلاقات كما كانت كاتبة للمنظمة ومسؤولة على الجانب المالي بصفتي عضوة في لجنة «عائلات المعتقلين» وكانت مهمتنا تنبيه ومساعدة زوجات المعتقلين التي حاولت السلطة الفرنسية احتواءهن وتوجيههن كما كان يجري.. في فرنسا وذلك عن طريق دروس الخياطة تحت رئاسة السيدة ماسو المعروفة بمواقفها الاستعمارية في الجزائر.

■ هل كان الرجال المجاهدون يقومون بنفس المهام؟

○ كانت هذه المسألة جد متعذرة على الرجال، إن المرأة كانت غير مشبوهة

قسنطينة وهو شيء تاريخي يرمز إلى احتلال هذه المدينة من طرف الاستعمار الفرنسي في 1937 أو الحجاب الأبيض (الحايك) المستعمل في العاصمة من طرف النساء اللواتي يرتدينه لكي يتميزن عن النساء الفرنسيات لكن الحجاب الحالي اعتبر شيئاً مستورداً لا علاقة له بثرائنا وتاريخنا لهذا أرفضه. □

أجرت الحوار خديجة بوتني

المواجهة

أم الهروب؟

بات الأمر واضحاً تماماً. فتسليم المتهمين الليبيين بحادثة لوكربي سيعقبه اعلان بريطاني - أمريكي بأن الحكومة الليبية والعقيد القذافي يتحملان مسؤولية الحادثة. ويمكن اثبات ذلك باعترافات مسجلة للمتهمين تعرض على شاشات التلفزة. بعدها سيصبح العقيد القذافي صدام حسين الثاني الذي يجب ضربه وتحطيمه، من أجل السيطرة على نفط ليبيا، في نهاية الأمر.

لقد حاول العقيد القذافي ان يتجنب هذا المصير فوقف موقفاً مالياً، الى حد ما، للغرب من حرب الخليج. كما سلم أمره لحسن مبارك صديق الأمريكي. لكن هذا لم ينفع أبداً. فالقرار اتخذ. وليبيا ونفطها يجب ان يوضعان في يد الغرب من جديد. وحسن مبارك بدل ان يعين العقيد القذافي ها هو يضغط عليه للرضوخ التام، يضغط عبر الكواليس، ويضغط مباشرة عبر الجامعة العربية التي اصبح يهيمن عليها.

وهكذا فإن سياسة الذعر والحرب من المواجهة، خوفاً من مصير كمصير العراق، توشك أن تؤدي الى هذا المصير نفسه.

هل يحق لأحد، بناء على ذلك، ان يطلب من ليبيا - أو من غيرها - أن تشد مفاصلها؟ الا يبدو مثل هذا الكلام جنوناً؟ يبدو انه كذلك، حقاً!!

○ إن الظروف الإقتصادية ككثرة البطالة وقلة السكن وانعدام إطار ملائم للتعبير عن مطالب الشباب هو الذي فجر أحداث باب الواد في 5 أكتوبر 88 بعد هذه الأحداث الدامية بأسبوع اجتمعنا نحن المجاهدات ووقعنا رسالة إلى رئيس الدولة نطالب فيها الاطلاق الفوري للقاصرين وبعد ذلك بأسبوع آخر قمنا باجتماع عام نشرح فيه أسباب الانفجار الشعبي وفي 20 أكتوبر عبأنا كل عائلات المعتقلين ونظمنا اجتماعاً عاماً باقاعة افريقيا، كان الناس يعيشون رعباً مهولاً، وكانوا يخرجون مما مرس عليهم من استفزازات وتهديدات وتعذيب وقمع وساهمت جمعيتنا في مسيرة جميع الديمقراطيين في الجزائر العاصمة في شهر نوفمبر بمشاركة الجامعيين والطلبة وكانت جمعيتنا هي الوحيدة التي شاركت في هذه التظاهرة، قمنا كذلك بزيارات متعددة للشباب المتواجدين في المستشفيات بسبب التعذيب.

■ إنه تاريخ مهم، فالإلى جانب الضحايا الذين خلقتهم هذه الأحداث هناك ميلاد العديد من الجمعيات السنوية، الا تظنين أن غزارة هذه الجمعيات تساهم في تقسيم النساء؟

○ لا أظن، إنها تجربة مهمة صحيح أن هناك عدد كبير من الجمعيات كل واحدة بخصوصيتها وطريقة عملها، لكننا نلتقي في الكثير من المواقف كرفضنا للعنف، والقوانين التي تتعلق بالانتخابات كالفصلين 53 و54.

■ كيف ترين مستقبل بلادك في ظل هذه التحولات الاجتماعية السياسية الموازية لايديولوجية الحجاب.

○ إن الحجاب المستعمل حالياً في الجزائر لا ينتمي إلى ثرائنا بمقارنته مع الحجاب الأسود الذي كان يستعمل في

يجب اتباعها لا بد أن تكون استراتيجية النساء والرجال الديمقراطيين الذين يرفضون الخضوع لإيديولوجيات متجاوزة، أما الوسائل التي سيتحملها المتطرفون فهي العنف، لهذا هناك انعدام تام للحوار مع هذه الفئة، تصوري ان في بلادنا حتى الأطفال يتفوهون أحياناً بعبارة «لا يجوز».

■ بصفتك مسؤولة عن جمعية الدفاع عن حقوق المرأة هل سبق لكم أن التقيتم بممثلي التيار الأصولي وناقشتم معهم في إطار إيجاد حد أدنى مشترك على الأقل؟

○ لقد سبق لنا أن شاركنا منذ سنتين في مائدة مستديرة بحضور عباسي مدني رئيس جبهة الانقاذ الاسلامي ومجلة «الجزائرية» وكأد يغادر القاعة في بداية الاجتماع إلا أننا أجبرناه على المكوث، وطرحنا مشاكل تمس النساء خاصة كمشكل العمل، لكنه أجابنا أن المرأة لها دور واحد ووحيد هو الإكثار من الذرية والسهر على تربيتها، وليس لها حق التمدريس، أو العمل كانت كل دواعيه تحت غطاء ديني حسب تأويلاته الخاصة.

■ لكن هذا يتنافى مع أسس الإسلام نفسه حيث تقول أول سورة منزلة «اقرأ»

○ إن التيار المتطرف يعتقد أن الدين الإسلامي الصحيح هو الذي يسعى إلى نشره في حين أن الإسلام ديننا وثرائنا وجزء من شخصيتنا، إن أعدادنا مسلمون وأبائنا ونحن مسلمون وأبنائنا كذلك وسعيهم هذا يتم دائماً بواسطة العنف لأجل الوصول إلى السلطة، إنهم غير قادرين على اقتراح برنامج حالياً برنامجهم الوحيد هو العنف.

■ إن تاريخ 5 أكتوبر جرم معبر للشعب الجزائري بل إن الجزائريين مستعدون لتسجيله في تاريخهم واعتباره الثورة الثانية ماذا فعلتم أثناء هذا الحدث؟

تعود المرنيسي مرة
أخرى الى الواجهة
بكتاب جديد عنوانه
هذه المرة: الخوف -
العصرنة، صراع
الإسلام والديمقراطية.
وهو ثمرة تأمل نافذ
فيما كشفت عنه حرب
الخليج من انهيارات
شاملة على صعيد
الوطن العربي.
وسوف ينشر الكتاب
باللغة الفرنسية
(ألبان ميشيل)
والألمانية (لوشرهاند
فيرلاغ) والانجليزية
(أديسون فيسلي)، كما
قد تظهر منه طبعة
الجيب في المغرب
(الفنك). أما الترجمة
العربية فسوف تكون
أساسية في وضع
القارئ العربي في عمق
الصورة التي حاولت
المرنيسي رسمها لواقع
تحولاتنا الشاملة على
صعيد المغرب والوطن
العربي.



الخوف . العصرنة صراع الإسلام والديمقراطية

الرجال كما تقضي الأعراف بذلك، أثناء المظاهرات العارمة التي نظمت في الرباط وتونس والجزائر... وكان صراخهن بالخوف أقوى تعبيراً مما صرخ به الآخرون، كما كان تعاملهن الفوري مع تطورات الأحداث أكثر استجابة من موقف الرجل.

وتتساءل فاطمة المرنيسي بحس نقدي نابه: كيف أمكن للنساء وهن المتعودات على الصمت والخضوع، أن يجهرن بالخوف قويا في ليالي الحرب الطويلة؟

وشموا بخوف لا إسم له من جراء التدمير المعنوي والمادي الذي تعرضت له حيواتهم ومصائرهم، فضلا عن أفكارهم وتصوراتهم.

وتعتقد الباحثة أن أقوى صرخة يائسة ضد الحرب هي التي صدرت عن النساء بصفة عامة وعن النساء العربيات تحديداً، وهو الحدث الذي شكل، مع أنه مر في صمت، قطيعة تاريخية هامة. إذ لوحظ أثناء الأزمة أن النساء سواء كن محجبات أو بدون حجاب، بادرن بطرح مقترحات للسلام ضداً على الزعماء السياسيين



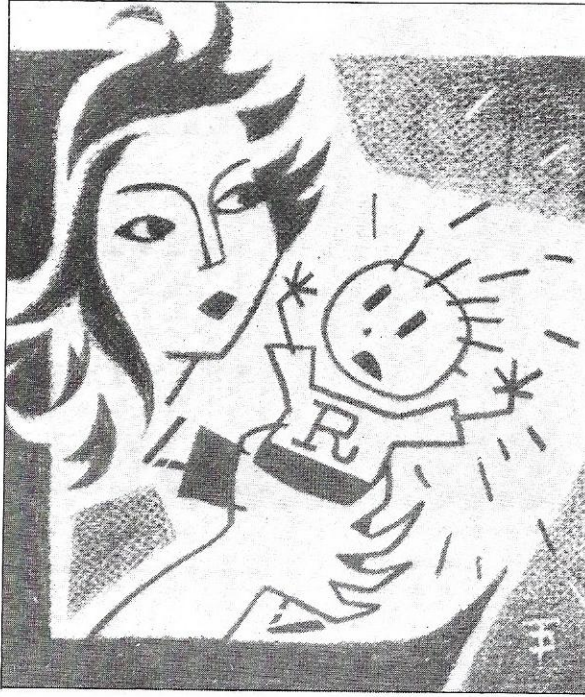
الكثير من الناس وشموا بخوف لا إسم له بسبب التدمير الذي تعرضت له حيواتهم ومصائرهم في حرب الخليج

من المنتظر أن يصدر في القريب عن منشورات (البيان ميشيل) بفرنسا آخر كتاب جامع ألفته الباحثة فاطمة المرنيسي بعنوان (الخوف - العصرية، صراع الإسلام والديمقراطية). وسوف يكون الكتاب في قسمين رئيسيين، مع مقدمة وخاتمة. إذ القسم الأول بعنوان: العصرية المعطوبة، وهو يشتمل على خمسة فصول (الخوف من الغرب الغريب، الخوف من الإسلام، الميثاق: مخرفة للدبلوماسيين، القرآن: خمسة عشر قرناً من الأمل). أما القسم الثاني فعنوانه: مفاهيم مقدسة وقلق... وهو يقع في خمسة فصول أيضاً (الخوف من التفكير، الخوف من الفردانية، الخوف من الماضي، الخوف من الحاضر، ساحة النساء: وجهة الحرية).

وقد مهدت فاطمة المرنيسي لكتابها هذا بمقدمة عامة عنوانها (الخوف وحدوده)، منطلقة في ذلك من نتائج حرب مدمرة خاضها التحالف الأمريكي الغربي ضد العراق. وهي المعركة التي كانت مجرياتها مثلما كانت نتائجها، في غاية التأثير والأهمية على الواقع العربي بمختلف أبنيته العامة.

وترى فاطمة المرنيسي أن الحرب إذا كانت قد وضعت أوزارها وعاد الجنود المتورطون إلى ثكناتهم، فإن الكثير من الناس أصبحوا على قناعة واضحة بأن الحرب المذكورة ترتبط بظواهر لانهاية لها، لأنهم

أقوى صرخة يائسة ضد الحرب صدرت عن النساء العربيات، وكان تعاملهن الفوري مع تطورات الأحداث أكثر استجابة من موقف الرجل



لشيء معين بالنسبة للثقافات الأخرى إلا عندما سقط جدار برلين على نحو ما برزته وسائل الإعلام في حينه. ولذلك عيش الحلم الديمقراطي في العالم العربي كتحرر، بحيث استجاب له الناس في المدن القديمة وتفاعلوا معه، مع أن الحدث كان محدوداً من الناحية الجغرافية، ولهذا أصبح من الواضح أن الغرب الذي اعتبر معقماً من جراء البذخ والوفرة قد انفتح لعواطف كانت قد نسيت منذ الموجة الإنسانية التي تفجرت في فرنسا عام 1968، وتقول فاطمة المرنيسي تحديداً: لقد برزت أوروبا

لأن الديمقراطية تمس التقليد في الجوهر، أي ما يعني إمكانية تغرية العنف من عبادة المقدس؟

ومما يثير في هذا المدخل أن فاطمة المرنيسي تنظر إلى الغرب نظرة فيها الكثير من الريبة والحذر، بل وفي مقاطع كثيرة منها ترصد فقرات مختلفة لإدانة سلوكه السياسي وتجربته التاريخية، بحيث ترى مثلاً أن الغربيين، الذين يرتبطون في أذهان سكان العالم الثالث بالاستعماريين، لم ينجحوا في التمتع بأية مصداقية كحملة

المرنيسي

الخوف - العنصرية



وهل أدركن، مع أن الشرع يزكي دونيتهن، بأن العنف الذي عبرت عنه الحرب سوف يضرهم داخل العالم العربي أشكالاً أخرى من العنف والتقتيل؟

ولذلك تلاحظ الباحثة بحسرة وقلق رعب الآفاق المظلمة التي تقاد إليها النساء في مجتمع عربي اشعلت فيه الحرائق باسم الشرعية الدولية وما صاحبها من تزكية مجلس الأمن، فضلاً عن الدول الغربية نفسها التي تتعلق بالديمقراطية، ولكنها لا تتورع في نفس الوقت عن إجبار الأمم الأخرى على انتهاج ما لا تؤمن به، مع أن جوهر النموذج الديمقراطي يقوم على رفض العنف.

فهل يمكن اعتبار الحرب، من هذه الزاوية مدبرة؟ ولماذا تهدد الديمقراطية، ولو كوعد مطلوب، أولئك الماسكين على زمام الأمور في أفريقيا وآسيا؟ ألا يمكن أن يكون ذلك



كيف أمكن للنساء المتعودات على الصمت والخنوع أن يجهرن بالخوف قويا في ليالي الحرب الطويلة؟

أخرى غير منتظرة على الشاشات العربية غير أن الصورة الجديدة هذه سرعان ما تقوضت بفعل الحرب التي شنت في الخليج، ثم عكست الشاشات العربية مرة أخرى صورا مختلفة أظهرت هذا الغرب نفسه في تعارض شديد مع ما بشر به من قيم ديمقراطية تعارض العنف وتناصر الحرية. لقد وجد المواطن العربي نفسه أمام جنرالات بالزي العسكري والنياشين وهم على شبه كبير بجنرالات الاستعمار القديم. ولهذا تعتبر فاطمة المرنيسي أن حرب الخليج عملت على تقهقر جميع أنواع الخطابات التي روجها الغرب من قبل، وتسرد المرنيسي بعض العناصر التي خبرتها في رحلاتها الى أوروبا خلال الحرب، ولهذا الأمر قررت بكل حرقه أنها لم تشهد من قبل الى أية درجة صار الأوروبيون متورطين في أروبيتهم، في حين وجدت نفسها غارقة في عروبتهم. فازدادت بذلك شقة التباعد وأصبح الاختلاف منطقا وحجة. وهو ما دفعها الى القول بأنه كلما كان الاختلاف مرعبا كلما كانت الحدود قانونا. ويفهم من ذلك أن كتاب المرنيسي هذا إنما جاء ليحبر عن الخوف وليشرح أبعاده في الفكر والسلوك والمعاناة، يستوي في ذلك أن يكون هذا الخوف داخليا أو خارجيا، شرقيا أو غربيا، فرديا أو جماعيا.

لقد سقط (الحجاب) بسقوط جدار برلين إذن، وارتفعت الحدود عاليا بقيام الحرب. ولذلك أرادت

المرنيسي

الخوف - المصيرنة



مثال الجماعة الإسلامية المنظمة كان يتمثل في توضيح الحدود للفصل ومراقبة الاختلافات. ولذلك أعطي الخليفة أوامره عام 157 هجرية لنقل الأسواق خارج نطاق (الجنة) وبذلك فصل بين الدهماء (عامّة الناس) والقصر. وتلك كانت فكرته عن الجنة فوق الأرض.

هنا تتساءل فاطمة المرنيسي: هل تغيرت الأوضاع بعد أن زيد من اثنتي عشر قرناً؟ ثم ألا يمكن اعتبار (الجنة) التي نصنعها يومياً على صورة مدينة السلام؟ ومن يتصور أن تقوم مدينة بدون حدود وأسوار وحجب؟ ومن يستطيع أن يتجول حراً بدون هذه الحدود؟ ومع هذا وذلك فقد أكدت حرب الخليج بأن جميع المدن العربية يمكن أن تكون كل شيء إلا مدناً تحيط بها الحدود، فكيف يمكن الوجود بدون حدود؟ وهل من الصدفة أن تسمى الدار غير الآمنة داراً (عورة)، أي كامراً بدون حجاب؟

إن (العورة) هي الدار العارية، ومجردة من الدفاع، ولذلك نجد أن نفس الاسم يستعمل اليوم من طرف أولئك الذي يقلقهم سير النساء في الشوارع بدون حجاب، فهن إذن لا يملكن أي سلطة للدفاع لأنهن تجاوزن حدود الحرام، أي ذلك الفضاء الممنوع والمحمي. ثم إننا نجد إسماً آخر يتداوله رجال الدين لشرح مخاطر الاختلاط الذي أصاب المدينة الإسلامية، أي مايسمونه بـ (التبرج)، وهو من نفس فصيلة

فاطمة المرنيسي لكتابها هذا أن يتناول هذا المشكلة المركبة، وهي مشكلة المرأة نفسها، أي مشكلة (الحجاب) التي هي مشكلة الحدود في نفس الوقت أيضاً.

كانت بغداد تسمى في القرن الثاني للهجرة بـ (مدينة السلام)، وهكذا سماها مؤسسها المنصور خلفية الامويين الثاني وضربها في العملة، وفي جميع الأحوال، تقول المرنيسي، كانت الحدود موجودة في (جنة) الخليفة المنصور، ولم يكن ذلك من باب الدفاع فقط بل وأيضاً لأن



حرب الخليج عملت على تقهقر كل الخطابات التي روجها الغرب من قبل عن ديمقراطيته ومعارضته للعنف ومناصرته للحرية



(العورة) هي الدار العارية المجردة من الدفاع، والإسم نفسه يستعمل اليوم من طرف أولئك الذين يقلقهم سير النساء في الشوارع بدون حجاب

وأساسيا بين عالمين: عالم إنهار في خضم التحولات العنيفة، وعالم آخر قيد التشكيل في نطاق تحولات جديدة سوف تخلخل جميع الأبنية الثابتة في العالم العربي. لقد أرادت فاطمة المرنيسي بهذا الكتاب أن تصرخ صرخة باحثة معنية بالتحولات الاجتماعية والنفسية. ولعل قيمته كامنة في أنه صدر عن وعي لم تكن حرب الخليج بالنسبة اليه سوى منبه قوي للكشف الفوري عن جذور الأزمة وامتداداتها في وجودنا نساء ورجالا. □

حسن الميدي

تعبير مجازي عن الحدود.

والقضية التي تثيرها فاطمة المرنيسي هنا، كمقدمة للخوض في أبعاد الموضوعات المثارة هي: ما الذي سيلحق بالنساء في المدينة العربية الجديدة بعد حرب الخليج، بعد أن نحين الحدود ورفضن الحواجز؟ وكيف يمكن أن نتصور (بغداد) أخرى يكون الأمان فيها ممكنا رغم زوال الحلقة؟.

تلك خطوط عريضة لكتاب قد يثير نقاشا خصبا حول مستقبل النساء في العالم العربي. بعد أن مثلت حرب الخليج حدا فاصلا

الاسم السابق (العورة) مأخوذ من الاستراتيجية العسكرية ومشتق من (البرج) لأنه مرئي ومرتفع. وهو ما يقال أيضا عن (الحصن) وغير ذلك من المفردات المحملة بالدلالات العسكرية، ولم يكن انزياحها عن هذا الحقل إلا لرسم الحدود وتركيز أبعادها الأخلاقية والنفسية والاجتماعية في الوجدان والشعور. ومن هنا ترى المرنيسي أن الحدود راسخة في جوهر النظام الكوني وهي التي تنظم الوجود في المدينة حول سلطة الجماعة، بحيث تتحول الفردانية والرغبة إلى ممنوعات لا ترى إلا من وراء الحجاب، وهذا الحجاب نفسه ليس في النهاية سوى

الإنسان... أولاً... وأخيراً!

لقد دُبِحَ الفكر بالفعل يوم أن خطب خالد بن عبد الله القسري والي الأمويين على بلاد العراق في جموع المصلين يوم عيد الأضحى قائلاً: «أذهبوا وضحوا ضحاياكم، فاني مُضِح اليوم بالجعد بن درهم» ونزل من المنبر واضجعه على جنبه ككبش الفداء، وحز رأسه بالسكين دونما شفقة!

لقد كان الجعد بن درهم أحد مفكري عصر التنوير العربي الاسلامي الذين مهدوا الطريق وعبدوه أمام الفكر الفلسفي السياسي المستنير الذي هدف لا إيجاد موقع للعقل الانساني المقوم لكيان الانسان بما هو انسان في وقت سيطرت فيه ايدولوجيا الدولة الاموية على مقادير البلاد والعباد باسم سلطان الله وتلاه العديد من المفكرين والفقهاء والأدباء الذين أبى بعضهم الا ان يحمل صليبه -مصلوباً- ليتبع المسيح واجداً دون الذود عن مبادئه ومواقفه الإنسانية خُطِرَ القِتاد.

ويبدو أن مرور هذا الحدث الجلل -واحداث كثيرة شبيهة فضيحة أخرى- عابراً على الاعيان والأذهان قد ساعد على عدم تجذّر وتكلس حاسة الفكر والفعل العربي حول مقام الفكر الانسان. كما كان مقدمة واضحة لرسالة تغييب الانسان كذات مسؤولة عاقلة فاعلة خيرة ونيرة، بسبب من صنف هذه المجازر الفردية الأموية أو الجماعية بالأمس واليوم، وبسبب من تواطؤ النخب الفكرية والفقيهة معها بحيث تبدو اجتهاادات بعض دعاة الانسية العربية عندها بمثابة شهب لامعة منفلتة عن مجراتها في عالم يلفه النسيان واللامبالاة بحق الانسان في الحرية والحياة. وفي دائرة أوسع وأكبر دلالة من الحدث أعلاه.. لدينا ثمة أشباه ونظائر في دهاليز تاريخنا العربي.. تاريخ الحريم والتحريم والمحرمات التي كبلت الانسان مذكراً كان أم مؤثماً؛ فقد تفجرت العديد من الانتفاضات وقامت الثورات الاسلامية منها أو الاسلامية باسم الدين والحق والعدل الالهي تارة، وباسم المهدي المنتظر ومملكة الله والمطلق تارة أخرى لإقالة الدنيا وإقامة الدين الحق المنفتح على خاتمة المطاف بالقيامة. ونلاحظ أن القاسم المشترك الأعظم بين الحركات الاسلامية والاسلاموية، الغابرة منها والمعاصرة، هو تقديم نفسها بلسان كتابها ودعاتها باسم الدين والحق والشرع والعدل الالهي.. الخ بحيث يجد الانسان نفسه أمام انقسام وجدائي -لا عقلاني ولا ديمقراطي- بين معسكري الجنة أو النار -حزب الله أو حزب الشيطان- الفرقة الناجية أو غيرها الفرق الهالكة.. كل هذا وغيره بمقياس الترغيب والترهيب وبمنطق من ليس معنا فهو ضد الله وضدنا.. ثم.. ما ان تمتلك الجماعة زمام الامور في شكل سلطة سياسية أو فقهية أو فكرية مذهبية، حتى تصادر على كيان وحرية الفرد باسم الجماعة... فتنداح دائرة الاستبداد السلطوي الديني باسم الدين وشرع الله.. وعليه كان الاستبداد وما زال وسيظل أسس الداء وأصل كل بلاء كما رآه الكواكبي.

عبد الله السفياني

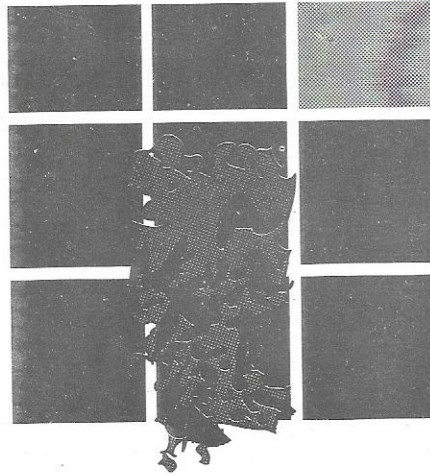
صدر حديثا

عبد القادر الشاوي

اليسار في المغرب

1974 - 1970

تجربة الحلم والغبار



منشورات
على الأقل

دراسة نقدية في تجربة اليسار الجديد بالمغرب

لوحة الغلاف : منى السعودي
صورتا بوعبيد والجنازة : م. الأشعري

هل انتم معاصرون ام تنتمون الى ما قبل التاريخ؟ إختبار لغاربة متحفرين كما تخيلته فاطمة الرئيسي

هل تقرأون مجلة " على الأقل " ؟
ان اجبتكم بـ " نعم " فأنتم مواكبون للتطور،
وإلا فإنكم لم تدخلوا التاريخ بعد!
أصدقائي الأعزاء: كونوا أبناء العصر
اختبروا أنفسكم كل يوم.



فاطمة الرئيسية (محررة رئيسية)